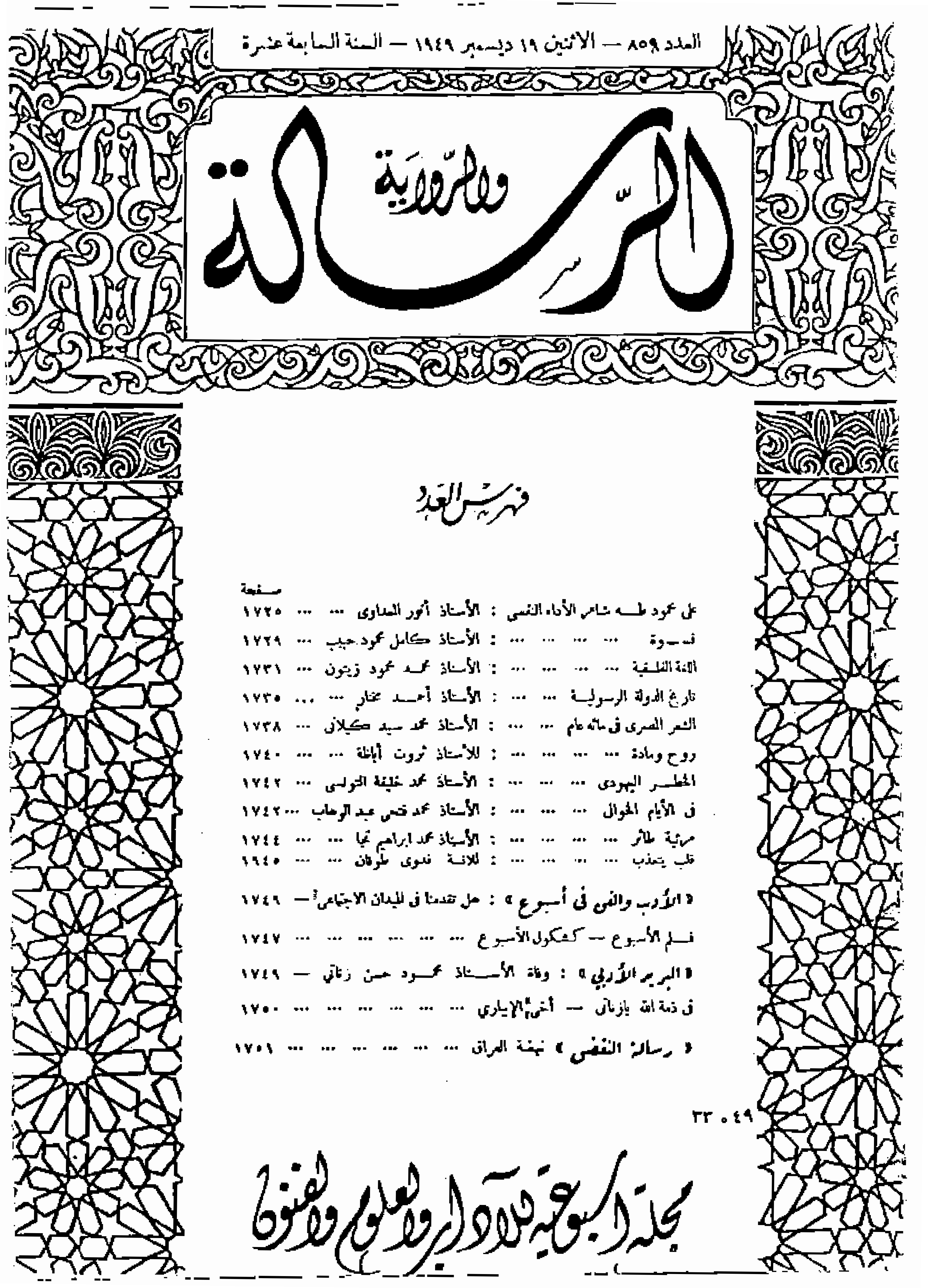
العدد ٨٥٩ — الاثنين ١٩ ديسمبر ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة



الرسالة والرواية

فهرس العدد

		صفحة
علي محمود طه شاعر الأداء النفسي	: الأستاذ أنور المعداوي	١٧٢٥
قسوة	: الأستاذ كامل محمود حبيب ...	١٧٢٩
اللغة القلقية	: الأستاذ محمد محمود زيتون ...	١٧٣١
تاريخ الدولة الرسولية	: الأستاذ أحمد مختار	١٧٣٥
الشعر المصري في مائة عام	: الأستاذ محمد سيد كيلاني ...	١٧٣٨
روح ومادة	: للأستاذ ثروت أباظة	١٧٤٠
الخطر اليهودي	: الأستاذ محمد خليفة التونسي ...	١٧٤٢
في الأيام الخوالي	: الأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب ...	١٧٤٢
مرثية طائر	: الأستاذ محمد ابراهيم نجا	١٧٤٤
قلب يتعذب	: للآنسة فدوى طوقان	١٩٤٥
« الأدب والفن في أسبوع »	: هل تقدمنا في الميدان الاجتماعي؟ —	١٧٤٩
فلم الأسبوع — كشكول الأسبوع		١٧٤٧
« البريد الأدبي »	: وفاة الأستاذ محمود حسن زناتي —	١٧٤٩
في ذمة الله يا زناتي — أخي الإبياري		١٧٥٠
« رسالة النقض » نهضة العراق		١٧٥١

٣٢٠٤٩

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

يصدر بعون الله تعالى :

فى اليوم الثانى من شهر يناير سنة ١٩٥٠

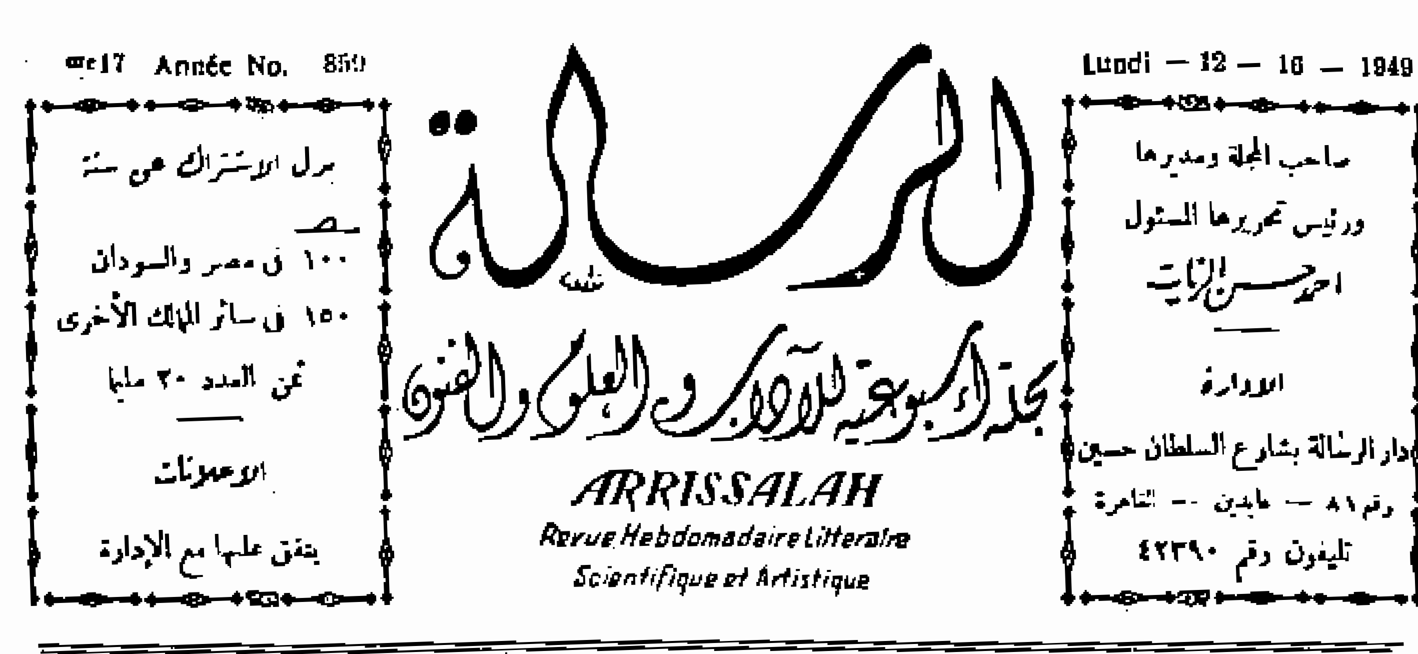
عـــدد الرســـالة الممتاز

حافلا كعادته بأروع ما يكتب

فى موضـــوعه لصفوة

من أقطاب البيان

فى مصر والعالم العربى



العدد ٨٥٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ من شهر صفر سنة ١٣٦٩ — ١٩ ديسمبر سنة ١٩٤٩ — السنة السابعة عشرة »

على محمود طه

شاعر الأداء النفسى

للأستاذ أنور المعداوى

— ٣ —

استمعت إلى الشاعر وهو يخاطب «الموسيقية العمياء» ، واستمع إليه مرة أخرى وهو يقدم إلينا الصورة النفسية الثانية ، مخاطبا فيها ذات الغلالة الرقيقة الناعمة تحت نافذتها المفتوحة فى ليالى الصيف المقمرة ... هناك فى قصيدة « القمر العاشق » فى الصفحة العاشرة من « ليالى الملاح التائه » :

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضنى
ورفّ عليك مثل الحلم أو إشراقة المعنى
وأنت على فراش الطهر كالزنبقة الوسنى
فضمى جسمك العارى وصونى ذلك الحسنا

أغار عليك من سابح كأن لضوئه لحنا
تدق له قلوب الحور أشواقا إذا غنّى
رقيق اللمس مريدٌ بكل مليحة يعنى
جرىء إن دعاه الشوق أن يقتحم الحصنا !

تحدّر من وراء الغيم حين رآك واستأنى
ومسّ الأرض فى رفق يشق رياضها الغنّا
عجبت له ، وما أعجب كيف استلم الركنا ؟
وكيف تسوّر الشوك وكيف تسلّق الغصنا ؟

على خديك غمر سابحٍ أقربها دنّا
رحيق من جنى الفتنة لا ينضب أو يفنى
وفى نهديك طلّسمان فى حلّيهما افتتنا
إلى كنزهما المعبود بات يسائل الرّدنا !

أغار ! أغار إن قبّل هذا الثغر أو ثنّى
ولفّ النهد فى لين وضم الجسد اللدنا
فإن لضوئه قلباً وإن لسحره جفنا
يصيد الوجنة السمرا ء من أغوارها وهنا !

وكم من ليلة لما دعاه الشوق واستدنى
جثا الجبار بين يديك طفلا يشتكى الغبنا
أراد فلم ينل ثغرا ورام فلم يصب حضنا
سوتك ذراعه رحما وأنت حويته فنّا !

عصيت هواه فاستغرى كأن بصدره جِنّا
بغى بالنظرة الرعنا ء يطوى السهل والحزنا
يثير الليل أحقادا ومد سحابه ضغنا
وعاد الطفل جبارا يهز صراعه الكونا !

فدى الثورة الحمراء ... دون الخدع الأسمى
وصون الحسن من ثورة ... هذا العاشق المضنى
مخافة أن يظن النـــاس في مخدعك الظنا
فكم أشفقت من ليل ... وكم من قر جُنّا !

أحدثك في هذه القصيدة أول ما أحدثك عن الموسيقى : الموسيقى التصويرية التي تصاحب المشهد التعبيري . ويجب أن نفرق بين لونين من الموسيقى : هما موسيقى اللفظ وموسيقى النفس ... نفرق بينهما مادمنا ندرس الشعر بهذه الدراسة الجديدة ، ونفهمه هذا الفهم الجديد ، ونقومه بتقويم الأداء النفسي الذي قدمت إليك صوره وألوانه ومراميه .

شاعر الأداء اللفظي هو من يعنى بالموسيقى الخارجية ليجذب سمعك ، وشاعر الأداء النفسي هو من يعنى بالموسيقى الداخلية ليجذب قلبك ... وهنا مفترق الطريق بين موسيقى تستمد رنينها من اللفظ وحده لتهز منافذ الأذن ومن موسيقى تستمد رنينها من النفس لتهز مسارب العاطفة ! ونريد في الأداء النفسي تلك الموسيقى الداخلية ، الموسيقى المعبرة تمام التعبير عن حالة شعورية خاصة ، طبعت أداء الشاعر بطابع صوتي خاص ، تلمسه في انسياب النفس الشعري أو تهدجه ، في إسراعه أو إبطائه ... في اندفاع النغم الشعري أو تموجه ، في ارتفاعه أو انخفاضه . مثل هذه الموسيقى الداخلية تنقل إليك نقلاً أميناً كل شحنة من تلك الشحنات الانفعالية المصبوبة في حقول التجربة ، حتى لتستطيع أن تميز كل لحظة زمنية عاشها الشاعر وتركت ظلها في نفسه وحسه فلحظة الغضب مثلاً لها جوها الموسيقي الخاص ، وكذلك لحظة الألم واللذة ، ولحظة الدهشة والهيبة ، ولحظة الأسى والحنين ... هذا الشاعر الغاضب في موقف من مواقف الضيق والثورة ، تجده هناك : في تلك الموسيقى الصاخبة النغم ، ذات الرنين العاصف ، ذات المسافات الصوتية الطويلة . وهذا الشاعر النشوان في موقف من مواقف الفرح والبهجة ، تجده هناك في تلك الموسيقى الراقصة النغم ، ذات الرنين الحالم ، ذات المسافات الصوتية القصيرة . وهذا الشاعر الملتاع في موقف من مواقف الألم والحسرة ، تجده هناك : في تلك الموسيقى الهادئة النغم ، ذات الرنين الخافت ذات المسافات الصوتية المترجحة بين الطول والقصر ... الطول حين يتشح التعبير بوشاح الحزن المستكن في أغوار النفس تطلقه لحظة من لحظات البث والشكاة ، والقصر حين يصطبغ التعبير بصبغة اللهفة العابرة الملوعة التي تلهب الشعور ولا تقيم . وهكذا تجد الموسيقى التصويرية الصادقة في شعر الأداء النفسي ، وهكذا تجد علي طه ...

لقد كان ذلك الشاعر الذي يمثل النموذج الموسيقي الثالث بمسافاته الصوتية القصيرة في « الموسيقية العمياء » ، وهو ذلك الشاعر الآخر الذي يمثل النموذج الموسيقي الثاني في « القمر العاشق » ... هو هناك الشاعر الملتاع ، وهو هنا الشاعر النشوان !

ونعود إلى موسيقى اللفظ وموسيقى النفس لنقول إننا لا ننكر أثر الموسيقى الأولى في الصياغة الشعرية ، ولكن الذي ننكره هو أن يقتصر عليها الشاعر ويوجه إليها كل عنايته ؛ ذلك لأن الموسيقى الخارجية من شأنها أن تخاطب السمع وحده دون أن تتسلل إلى تلك السكوى الخفية المتناثرة في آفاق الشعور ، وإذا كان هذا الأريبدو ضئيلاً إذا وقف وحده في الميدان ، فإنه يحتل مكانه من غير شك إذا استند إلى الموسيقى الداخلية واعتمد على قيمها الصوتية في النهوض بالأداء ... إن موقف الشاعر بين الموسيقى النفسية والموسيقى اللفظية ، أشبه بموقف المايسترو بين النوتة التي يضع أصولها بنفسه وبين فرقة كاملة من العازفين : هذه الألفاظ التي تنقل النغم إلى قارئ الشعر تقوم مقام العازفين الذين ينقلون النغم إلى سامع الموسيقى ، كل قيمتهم تتمثل في أنهم أدوات ناقلة ، النوتة هي التي تمدهم بأصول الأداء الموسيقي كما يجب أن يكون ، ومن وراء النوتة يقف المايسترو ليشرف على هذا الأداء ... إن المايسترو هنا يمثل الشاعر هناك ، والنوتة الفنية تمثل الموسيقى الداخلية ، ومجموعة العازفين تمثل مجموعة الألفاظ : الفضل كل الفضل للنوتة الموجهة وللقائد المشرف ، وبغير هذا وتلك تبدو لك ضآلة الأدوات الناقلة إذا وقفت وحدها في الميدان ... والأدوات الناقلة التي أعنيها بهذا التعبير هي مجموعة العازفين في الفرقة الموسيقية ومجموعة الألفاظ في الصياغة الشعرية !

ولعل هذا التفسير المادي يوضح لك الفارق البعيد بين موسيقى اللفظ وموسيقى النفس ، ومدى التفاوت العميق بين أثريهما كعنصري تنغيم في تلوين الانفعالات الذاتية في التعبير .

بعد هذا ننتقل بمجهر التحليل إلى زاوية أخرى من زوايا الأداء النفسي ، ونعني بها زاوية « الملكة التخيلية » في شعر علي طه ... إن أول مزية من مزايا هذه الملكة هي « التجسيم » ؛ التجسيم الذي يجعل من الحركة الجامدة حركة حية ، ومن السكون المادي الصامت كوناً يموج بالمشاعر والأحاسيس ، ومن الصورة التي تعز على اللمس صورة تدركها الحواس ، حتى لتوشك أن تنالها الأيدي وأن تراها العيون ... هذه القيم الشعرية النادرة تحتشد احتشاداً كاملاً في قصيدة « القمر العاشق » .

هذا القمر الذي أضفى عليه الشاعر من الصفات ما يسلكه في عداد الأحياء ، هو النموذج التجسيمي للحركة الجامدة حين تنفث فيها الملكة التخيلية كل معاني الحركة المتوثبة ... وهي حركة مادية في المقطوعة الأولى تتلوها حركة نفسية ، وتتجاوب الحركتان على التعاقب فيما يرد بعد ذلك من مقطوعات . وما قيمة الأداء الذي ننشده إلا في هذا التتبع النفسي الدقيق لكل مشهد تلتقطه العين ويتملاه الخيال ، هناك حيث تكون النفس الإنسانية أشبه بمرصد يسجل كل هزة من هزات الوجود الخارجي ، ويحدد مكانها من دائرة الشعور والوجدان !

هذه القصيدة تروى لنا قصة ، هي قصة القمر العاشق أو قصة الخيال الفريد ؛ الخيال الذي ينقلنا على جناحه إلى تلك الشرفة التي تعدد فيها جسد يهز « قلب الجماد » ... وتلك هي اللفتة الفنية الاولى التي تخرج بها من الفكرة الشعرية التي طافت برأس الشاعر : إنه يريد أن يرتفع بتصوير الفتنة الطاغية إلى أفق يعلو فوق مستوى الآفاق المألوفة في خيال الشعراء . إنه يريد أن يظاهر سطوة الجمال الآسر في ثوب لا يكتفي بإثارة الأرض لأنه أحرى بإثارة السماء ... وحسبه في تصوير تلك الفتنة أن يتخيل الحب الثائر كوكبا من الكواكب لا بشراً من البشر !

في المقطوعة الأولى تبدأ الحركة المادية حين يرسل الحب المفتون ضوءه إلى الشرفة ، وينطلق الأداء النفسي في أثره ليسجل أول ومضة من ومضاته أو أول حركة من حركاته ... إن العاشق هنا « مضنى » يرف ضوؤه رفيف « الحلم » ويشرق « إشراقة المنى » ! في كل لفظ من هذه الألفاظ سيل لا ينتهي من الإيحاءات ، مصدره قطرة تنبثق من هنا وقطرة تنبثق من هناك ، من تلك الينابيع النفسية التي تطفىء ظمأ التعبير وترطب مسالك الكلمات ... وفي المقطوعة الثانية تسمع رجع الصدى العميق منعكسا على الصرخة التي يتمها الأداء النفسي في موضعها الطبيعي من الشعر ؛ هذه الصرخة يمثلها قوله : « أثار عليك » ، وهي رجع الصدى من قوله : « نشمى جسمك العاري » يتبعها قوله : « وسرى ذلك الحسن » ... هذه هي العلاقة النفسية التي تربط بين الألفاظ برباط لا ينفصم ، وتنظمها ذلك التنظيم الذي يحدد لكل لفظ مكانه . هما إن شئت هندسة ألفاظ ومناظر ، ولكن لا تنس أنها قبل ذلك هندسة خواطر ومشاعر ! ... ثم ما هذا العاشق الذي « كأن أضوءه لحنا تدق له قلوب الحور » ؟ أرأيت إلى أثر التجسيم في الشعر ؟ إن التجسيم في الشعر أساسه « التضخم » في الطاقة الشعورية ، وفرق بين التجسيم الشعري الذي يبرز خطوط الصورة وبين التهويل الشعري الذي يطمس خطوط الصورة ، وإنه لذلك الفرق الذي يكون بين قوة الملكة التخيلية وبين ضعف الرؤية الشعرية ! وتطالعك هذه العلاقة النفسية بين الألفاظ مرة أخرى في البيت الثالث والرابع من نفس المقطوعة ... هذا العاشق الرعديد « رقيق اللمس » حين تصغى كل مليحة لندائه وتستجيب لدعائه ، ولا يعترض طريقه معترض إذا ما قر رأيه على قرار ، ولكنه « جرىء » في مواقف التمنع يقدم غير وجل ولا هياب ، ويقتحم المصون على من فيها إن دعاه الشوق ويتسلق الأسوار !

هـذه « الرقة » التي يحوبها أول فصل من قصة الحب الصادق يعرضها على طه أروع عرض نفسي في البيت الأول والثاني من المقطوعة الثالثة : « تحدر من وراء النيم ... ومس الأرض في رفق » ، هل تستطيع أن تتفيأ تلك الظلال الممتدة على حواشي الألفاظ ؟ ألا تحس معي في كلمة « تحدر » ومن بعدها « استأنى » ذلك المس الذي يحس في خطوات الحب الحاذر الذي يتمهل في سيره ويترفق ، خشية أن يحدث صوتاً تستيقظ على أثره الحبوبة النائمة ؟ ألا تشعر أن الكلمتين تنقلان إليك شبح عاشق يتسلل إلى مخدع حسناء في هدأة الليل ثم يرهب الضوء الذي يمزق حجب الظلام ، ضوءه الناصع الذي يدفعه دفعاً إلى أن « يمس » الأرض في رفق وحذر ؟! لقد طاف أولا بالشرفة ، حتى إذا رآها نائمة (مس الأرض في رفق) ، وتسور الشوك وتسلق الغصن ، واستلم الركن ... أرأيت إلى هذه الوحدة النفسية في تسلسل الخواطر وإلى هذه الوحدة الفنية في تسلسل الألفاظ ؟ إنها الهندسة المطلوبة في مثل هذا الأداء !

وتمضي القصة في طريقها إلى فصل آخر أو إلى مرحلة أخرى من مراحل التجسيم الشعري ... هنا في المقطوعة الرابعة يقدم الشاعر

هذا المشهد الجديد الذى مهد له بالمشهد السابق فى المقطوعة الثالثة لقد أفلح العاشق المضنى فى الوصول إلى المخدع الموموق ، وأصبح الجسد الفاتن أمام عينيه يثير مكامن النزوة من مرقدها ويدفع بها محرقة فى يديه ... وبدأ المحب المريد يفتن فى حل طلاسم النهود ، وراحت أصابعه المحمومة تعالج الردن بغية الظافر بالكنز المنشود ! أنها لحظة سكر من لحظات الهوى الخلاب ، لحظة يعرفها كل عاشق مفتون كهذا العاشق ، حين يصب من خمر الصبابة دنانا على خدود الحسان !

وفى نهديك طلسمان فى حلهما فتنا
إلى كنزها المنشود بات يعالج الردنا

وتمهل إذا بلغت المقطوعة الخامسة ، تمهل لأن هنا مركزاً من مراكز التحول فى خطوات الأداء النفسى ؛ هذا التحول الذى يفرضه على الشاعر انتقال العدسة من وضع إلى وضع ، ليلتقط الصورة من زاوية رئيسية يندفع فيها الضوء من الأمام إلى الخلف حتى يتكشف ما وراء المشهد من آفاق ... وستتكشف لك تلك الآفاق فى المقطوعة السادسة والسابعة على التحديد ، أين هو مركز التحول فى هذه المقطوعة ؟ هو فى تلك اللفتة الموحية بأن العاشق المضنى قد حاول أن يقبل الثغر ، وأن يلف النهد ، وأن يضم الجسد ... وأنه قد منى فى محاولته تلك بالخيبة وباء بالخذلان ، هناك فى المقطوعة السادسة حيث تروعك وثبة الأداء فى هذين البيتين :

أراد ، فلم ينل ثغرا ورام ، فلم يصب حضنا
حوتك ذراعه رسما وأنت حويته فنا !

ولعلك قد لاحظت أن تلك الصرخة فى قوله « أثار عليك » عندما بدأ المقطوعة الثانية ، قد تكررت فى قوله « أثار ، أثار » عندما بدأ المقطوعة الخامسة ... تكررت لأن الحركة المادية (وأرجو أن تفرق بين الحركة المادية للفظ وبين المعنى المادى للفظ) كانت هناك حركة واحدة فتعددت هنا وهى أكثر من حركة واحدة ، ولا بد فى شعر الأداء النفسى من أن تستجيب الهزة الداخلية للهزة الخارجية ، على مدار النسبة العددية التى تحدث شيئا من التوازن بين عالمين ... ولهذا ترى الهزة النفسية الممثلة فى تكرار التعبير من النبرة قد وزعت على بضع حركات مادية ؛ هى الإقدام على التقبيل ، والإقدام على الضم ، والإقدام على قطف الثمار الناضجة فى روض النحور ! ولقد كان لضوء القمر فى المقطوعة الثانية لون فأصبح لضوئه فى المقطوعة الخامسة لون ، وهو لون آخر من ألوان التجسيم يدعو إليه هذا الجو الشعرى الجديد ، كما يدعو إليه فى أن يكون لسحره ذلك الجفن الذى عناه بقوله :

يصيد الموجة العذراء من أغوارها وهنا !

وفى المقطوعة السادسة تبلغ اللفتة النفسية أوجها عندما يقول : « وكم من ليلة لما دعاه الشوق » ... إن قيمة اللفتة فى أنها إشارة إلى كثرة طواف القمر العاشق بشرفة هواه ، هذا الطواف الذى أورثه الضنى المعبر عنه فى أول بيت من أبيات القصيدة :

إذا ما طاف بالشرفة ضوء القمر المضنى !

وتأمل رهافة الطبع حين يشرح العاطفة المشبوبة فى لحظات الضعف والهوان ، إن كل محب جبار يغدو فى مثل تلك اللحظات طفلا جاثيا بين يدى من يحب ، « طفلا يشتكى الغبن » ... فإذا ما حيل بين الطفل وبين الدمية الحبيبة عاد جبارا من جديد « يهز صراخه الكون » ! وأى صراع هو ؟ إنه الصراع الذى لا يبقى ولا يذر :

مضى بالنظرة الرعناء يطوى السهل والحزنا
يثير الليل أحقادا وصدر سحابه ضغنا !

واستعرض مواكب الأنماط فى هذا الأداء النفسى ... استعرضها فى « النظرة الرعناء » ، وفى الليل الذى « أثير أحقادا » وفى السحاب الذى ألهب « صدره » ضغنا وعداء ... واستعرضها فى المقطوعة الثامنة ، فى « ردى الشرفة الحمراء » ، و « صوت الحسن من الثورة » ، و « مخافة أن يظن الناس » ! وكما طالعتك الملكة التخيلية فى مطلع القصيدة فهى تطالعك فى هذا الختام :

فكم أقلقت من ليل وكم من قمر جننا !

ولا تتهم الشاعر بضعف الرؤية الشعرية عندما يقول : « وكم من قمر » ... أنا معك فى أن السماء لا تحوى غير قمر واحد ، ولكن لا تنس أن فى الأرض أقمارا أخرى من الصبين ، أقمارا أرضية يصيبها الوجد اللافح بألوان من الجنون !!

(يتبع)

أنور المعداوى

صور من الحياة

قســـــوة !

للأستاذ كامل محمود حبيب

طلع إلى الحياة طفلا ضئيلا يعاني الضوى من سغب، ويشكو الهزال من شظف، ويقاسي الهم من ضياع؛ ينام على الطوى، ويغص بالضنى، ويشرق بالضيق. وتعلم من أبيه – أول ما تعلم – أن المال هو الغاية العظمى، وأنه هو الهدف الأسمى. ورأى أباه، وهو رجل ريفي فظ الطبع غليظ القلب شحيح النفس، ينهره في جفوة إن طوعت له نفسه أن يسأله قرشاً، ويرده في غيظ إن طلب إليه حاجة. ثم شعر بأبيه وهو يقذفه إلى المدرسة هناك في المدينة ثم ينطوي عنه كأنما نسي أن له في المدينة ابناً ينظر حواليه في حيرة وقلق فيرى أبناء الناس يعيشون في دنيا غير دنياه، ويرفلون في طفولة غير طفولته، وينعمون بعيش غير عيشه، فانضم على شجن أشهرق قلبه الغض وهو مايزال لدى الأفق المشرق من الحياة؛ انضم على شجن عارم فوار لأنه لايجد القرش؛ وهو نعيم الحياة ولين العيش ونور العين وبهجة القلب وسرور النفس. وأحس في حاجته إلى المال خسة أورثته الاستخذاء، وضعة علمته الذل، وصغاراً وسمه بالهوان؛ فأخذ حب المال يتدفق في قلبه جارفاً يصرفه عن إنسانيته ورجولته وكرامته جميعاً؛ والسنون تطوى، حتى تخرج من مدرسة التجارة المتوسطة، وعين موظفاً ببنك مصر.

وظن رفاقه أن راتبه كفيل بأن يهيء له حياة كريمة طيبة تخلع عنه ثياباً رثة زرية، وتنفض عنه عفر الحاجة وغبار المسكنة وتمسح ماتشعث من حاجاته ومن خواطره، ولكن الأيام راحت تنطوي في غير ريث ولامهل، وهو في زيه القديم البالي لم يبد عليه أثر النعمة ولاسمات الخفض لأنه لايهدف إلى غاية سوى أن يجمع المال ويكدسه ويحرص عليه فلا ينفقه ولايبدده. وتقزز زملاؤه في البنك من هذا المظهر الوضيع ومن اللباس القذر ومن الوجه الأغبر ومن الشعر الشعث، وأنفوا أن يندس في زمرتهم فتى تشتله الكزازة من الكرامة ويصرفه الشح عن الترفع فأجمعوا أمرهم على أن ينشروا الخبر على عيني المدير؟ وثار المدير لما سمع فما لبث أن جذبه من البنك ليقذف به في مخزن الحبوب ليتوارى هناك خلف سحابة كثيفة من الغبار الثائر، وليتيه في ضجة العمل الصاخب بين الحمال والعامل. وانطلق الفتى إلى عمله الجديد هادئاً لايستشعر الحيف ولايحس الجور.

* * *

وجاءه أبوه – ذات مرة – يحدثه حديث الزواج، فدفعه عنه في رفق ودعه في هوادة، وهو يقول «دع عنك، يا أبي، هذا الحديث. فإن تكاليف العروس وحاجات الزوجة ورغبات الولد أشياء تبهظ الغني وتثقل كاهل الثري، فما بالي وأنا – كما تعلم – موظف صغير أحس الارهاق والضيق وأشعر براتبي ينوء بأعبائي وأنا عزب ...» فقال الأب في هدوء «لا بأس عليك إن ضقت بالضيق أو تبرمت بالحاجة ولكن الزوجة المنتظرة فتاة من ذوي قرابتك، ربيبة الفقر والريف، تقنع بالقليل وترضى بالتافه، لم يبهرها زخرف الحياة ولاخطفها ألق الحضارة. ثم هي يتيمة، مات أبوها منذ سنة واحدة فورثت منه كنزاً وكنزاً من الأفدنة ...» فهمس الفتى كأنما يتحدث إلى نفسه وقد بدا في نبرات صوته أن أسهل وانقاد «إنها ثروة... ثروة طائلة، تكفل لي حياة ناعمة» وأجاب الأب «إنك – ولاريب – ستجد إلى جانبها راحة القلب وهدوء النفس ورغد العيش». فقال الفتى «ولكني أعجز عن أن أدفع المهر» فقال له أبوه «أما المهر فسأحمل عنك بعضه ليكون ديناً عليك تسدده بعد سنة من زواجك، أي بعد سنة من استيلائك على ثروة الزوجة المنتظرة» وانفرجت أسارير الفتى وتبسط في الحديث، وأقبل على أبيه يسأله «أو أستطيع أن أنزع ثروة زوجي من بين يدي أخيها الأكبر؟» فأجابه الأب في ثقة واطمئنان «ومن ذا عساه يمنعك من أن تقوم على شأن زوجك؟»

وفي ضحى اليوم التالي انطلق الفتى وأبوه معاً إلى القرية ... إلى دار العروس. وتحدثا إلى أخيها الأكبر، وهو – إذ ذاك – الوصي على مالها، فما تعسر عليها ولاتمنع، فالبنت الفتاة أن يحبت على الفتى، وخرج الفتى من دار الفتاة وهو يتوثب فرحاً وسروراً ويتألق بهجة وأملا.

ورأى الوصي الفتى يسر إلى أبيه بأمر فأحس كما يحس به الثري يفهق جيبه بالمال حين يسمع همسات اللص تطوف

حواليه فنزعه من الأمان والقرار . ولكنه رجل ذو حيلة وخداع وذومكر ودهاء ، فأسر في نفسه أمراً .

وراح الوصي بعد الجهاز ، ينفق عن سعة ويبذل في سخاء ، يستفرغ الجهد ويستنفد الوسع ، والفتى يرى ويبسم لأنه يستشف آثار البذخ والإسراف فيخيل إليه أن الرجل يكلف نفسه فوق طاقتها ليرضى هو ولترضى الزوجة ، فاطمأنت نفسه وسكنت نوازعه ، ثم انطلق يهيء لنفسه حاجتها ويعد للعرس طلباته ، يغرق في الانفاق ويفرط في العطاء حتى كاد أن ينفد وفره ، وفي رأيه أنه يوشك أن يعوض مافقد وأن يسترد ما أنفق .

وانطوى شهر العسل ، والفتى يمرح في بحبوحة من النعيم فيها الصفاء والدعة ، ويرشف رضاب حياة سعيدة طيبة فيها الهدوء والطمأنينة . انطوى شهر العسل ، ثم أفاق الفتى فإذا يده صفر الأمن راتبه ، وإذا مال زوجته بين يدى أخيها الأكبر لم يتنزل له عن شبر واحد . وأحس الفتى بالألم يحز قلبه وخزات عنيفة قاسية لأنه أضاع ما ادخر في سنوات ، ولكن صبابة من الأمل كانت تساوره ـ بين الفينة والفينة ـ فيطمئن لها قلبه وتسكن ثائرته

ويوم أحس الفتى الضيق والعنت ، انطلق إلى شقيق زوجته يطلب إليه أن يتنزل له عن مال زوجته . غير أن الرجل ربت على كتف الفتى في هدوء وهو يقول « إنك فتى صغير السن ، لاتستطيع أن تشرف على أطيان زوجك » وأحس الفتى أن الرجل يسخر من غفلته في غير رفق ويهزأ من طويته في غير لين ، فهم يريد أن يثور في وجهه ولكن الرجل عاجله بقوله « أتذكر ، يا أخي ، أن جهاز العروس قد كلفنا نيفاً وألف جنيه ، وهذا دين على زوجتك أنتظر وفاءه ؟ فأطيانها بين يدى رهينة حتى تفي أنت بدينها أوتفى هي ... » وهبطت كلمات الرجل على قلب الفتى صفعات شديدة تهد من قوته وتعصف بكيانها ، ولكن لم يستطع أن يفعل شيئاً ، فانفلت من لدن الرجل وقد ارتاع واستطار لبه .

وبدا للفتى أنه خسر في شهر واحد كد سنوات طوالها يشترى ضنك العيش ويستعذب جدب الحياة ويتلذذ بالحرمان ، ليكون بعد سنوات ـ رجلا فيه الثراء والغنى ... بدا له أنه أضاع ماله فاستشاط غيظاً واحتدمت الثورة في قلبه ، ولكن .

وانطوت الأيام فإذا الفتى قد انتكس إلى حاله الأولى ، يستمرئ ضنك العيش ويستعذب جدب الحياة ويتلذذ بالحرمان ثم راح يضرب زوجته بالجوع والعرى في خشونة وعنف ، لاتأخذه شفقة ولاينبض قلبه برحمة . والفتاة صابرة لاتتحدث بما تعاني ترفعاً منها وكبرياء ، ولا تشكو قسوة الزوج أنفة منها وسمواً . واعتصمت — حيناً — على هم يضطرم في قلبها عسى أن تجد الرفق في زوجها أو عطف الرأفة في أخيها ، والأيام تمر .

وضاقت نفس الزوجة بما تقاسي ونفد صبرها ، فانطلقت إلى أخيها تبثه شكواها وتسر إليها بكربة نفسها ، فما ألقى إليها السمع إلا ريثما يقول لها في فتور « وماذا أعجبك من هذا الفتى الوضيع القذر ؟ لوشئت وجدت عندى الرحب والسعة » .

وخرجت الفتاة من لدن أخيها الأكبر وقد حطمها الأسى وأرمضها الغم ، لأنها فقدت العطف في قلب زوجها ، وفقدت الحنان في قلب أخيها .

وخشيت أن يجرفها تيار الحاجة إلى الهاوية فآثرت أن تستقر في دار أخيها علها تدرأ هناك غائلة السقوط والانهيار وهي تشعر بالشيطان يوسوس لها بأمر ؛ وعلها تسترد ما اقتطعت عليها من أنفة وإباء . فهل وجدت في دار أخيها غناء عن الزوج والابن ، وهما روح الحياة وبهجة العمر وسعادة القلب ؟

ياعجبا للنفس الإنسانية حين يطغى عليها حب الذات ، ويعميها شره المال ، فتنزل عن الشرف والكرامة والإنسانية جميعاً .

كامل محمود حبيب

إعلان

تعلن وزارة العدل عن فقد الرصيد رقم ٣٠ ورابيته قبل استعماله من دفتر الزواج رقم ٢٦٢٣٨٢ عليه الشيخ عبد العزيز سالم مأذون كفر الشحوت التابعة لمحكمة بنها الشرعية .

فكل من يعرض عليه هذا الرصيد أو إحدى رابيته أو عثر عليها بأى الطرق أن يعلم إن لا قيمة لها وأن استعمالها يعد تزويرا يعرض مستعمله للمحاكمة الجنائية .

٣٧١٤

اللغـــة الفلسفية
عند ابن سينا

للأستاذ محمد محمود زيتون

« هذه إشارات إلى أصول وتنبيهات على جمل يستبصر بها من تيسر له ، ولا ينتفع بالأصرح منها من تعسر عليه . »

بهذه العبارة يفتتح ابن سينا كتابه « الإشارات » ، ونريد بهذا المقال أن نتعرف على أي نحو وإلى أي غرض أشار ابن سينا ونبه في إشاراته وتنبيهاته .

وكتاب « الإشارات » يحتوي على ثلاثة فنون : المنطق والطبيعيات والإلهيات ، وكما يختلف الواحد منها عن الآخرين في موضوعه وغرضه ، تختلف كذلك في طريقته للوصول إلى هذا الغرض .

ولقد خلف فيلسوف الإسلام تراثاً جليلا شغل الفكر الإنساني في كل جيل ، وتدارسه العلماء والفلاسفة من بعده في الجامعات ، وليس أدل على المكانة التي تبوأها من قول ابن خلدون : « وترى الماهر منهم — العلماء — عاكفاً على كتاب الشفاء والإشارات والنجاة » ، وحلت كتب ابن سينا الفلسفية محل كتب أرسطو عند فلاسفة الأجيال المتلاحقة ، وأفردوا له البحوث الطوال .

ولا عجب إذا كتب (ماكدونالد) في الإنجليزية كتاباً من « معاني الوهم في التفكير الإسلامي » كان لابن سينا فيه مكان مرموق . وكتبت الآنسة (جواشون) في الفرنسية كتابها « ثبت باللغة الفلسفية عند ابن سينا » إلى غير ذلك مما كتبه الطليان من احتمال اطلاع (ديكارت) على آراء ابن سينا كما ذهب إلى ذلك فورلاني Furlani وفاليوس Valbos بسبب نصوص الإشارات التي نقلها « غليوم أو فرني » من ابن سينا إلى اللاتينية .

وأسلوب ابن سينا الفلسفي في جل كتبه — إن لم يكن في كلها — طريف فازت « الإشارات » من طرافته بأوفر نصيب ، تلك الطرافة التي تتجلى في عرض المسائل عرضاً علمياً دقيقاً ، ونقدها في تؤدة العلماء ، وأناة الفلاسفة ، مما نرى شبها له في طريقة « هيجل » .

والكشف عن طريقته هذه في الإشارات يستلزم النظر في ثلاث :

أولا : معاني المفردات التي أشار ونبه بها لغة واصطلاحا .

ثانيا : تقدير مدى إبداع ابن سينا في هذه المفردات .

ثالثا : تحديد الظلال السيكولوجية التي تلقيها معاني هذه المفردات .

ففي البحث عن اللغة الفلسفية عند ابن سينا مزاج طريف من اللغة والفلسفة والنفس ، وفي كل ميدان صاول ابن سينا وطاول ، وكان له القدح المعلى . ولما كان المنطق دهليزاً إلى سائر العلوم كانت أبوابه أنهاجا ، والنهج طريق بين واضح سالك مستقيم ، وهو منهاج ومنهج وجمعه أنهاج ونهوج ونهجات ، قال تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » ، وقال العباس « لم يمت رسول الله حتى ترككم على طريق ناهجة »

والطبيعيات والإلهيات غير المنطق في كونه يتوسل منه إلى سائر العلوم . وهي إنما تقصد بذاتها ، لهذا كانت أبوابها أنماطا ، والنمط في الأصل نوع من الثياب المصبغة ، ولا يقال للأبيض نمط . والنمط أيضاً ضرب من البسط . والعرب يشبهون الطرق بخطوط الثياب . قال طرفة يصف الطريق التي سارت به فيه ناقته : « على لاحب كأنه ظهر برجد . » والبرجد هو الثوب المخطط خطوطاً ظاهرة . وجمع النمط : أنماط ونماط . قال المتنخل : علامات كتحبير النماط . ويستعمل النمط في المتاع والعلم ، فيقال نمط للضرب من الضروب والنوع من الأنواع ، والمذهب والفن والطريق والطريقة .

وإذن فقد انتقل المعنى من الحسي إلى المعنوي ، من الثوب إلى الطريق إلى الطريقة ، كما انتقل معنى (الأسلوب) من صف النخيل إلى الطريق إلى الطريقة . والنويري في (نهاية الأرب) يقسم الباب الخاص بكيفية العلم والعمل بأسماء الله تعالى إلى عشرة أنماط في السفر .

وهكذا دل ابن سينا بالأنماط على أبواب الطبيعيات والإلهيات كما دل بالأنهاج على أبواب المنطق .

وليس الناس سواء في سيرهم وهذه الأنهاج وتلك الأنماط ، لهذا نصب الشيخ الرئيس من نفسه هاديا ومرشدا للضالين التائهين

---

(١) لسان العرب .

الواهمين، فمنهم من تكفيه الإشارة، ومنهم من تاه في بيداء الوهم من يعوزه التنبيه أو زيادة التنبيه، ومنهم من استغرقته الجهالة فكان له من ابن سينا تبصرة أو زيادة تبصرة، ومنهم من ضل ضلالا بعيداً فكان له منه حسن الهداية؛ ومنهم من أخطأه التوفيق فكان له منه فائدة، وقد يتفق معه ابن سينا ثم يفترق عنه إلى موعد أو إلى موعد وتنبيه، إلى غير ذلك من تذكيره أو تذكرة ثم تذنيب على إشارة، أو تحصيل أو زيادة تحصيل. وبعد هذا كله لا تفوته النكتة.

نظرة في هذه المفردات تقفنا على الصلة الوثيقة بين دلالاتها وبين علم النفس. إذ يقول مثلا في مطلع النمط الرابع في الوجود وعلله «تنبيه: (وفي نسخة إشارة) اعلم أنه قد يغلب على أوهام الناس أن الموجود هو المحسوس وأن . . . وأن . . . وأنت يتأتى لك أن تتأمل نفس المحسوس فتعلم منه بطلان قول هؤلاء، لأنك ومن يستحق أن يخاطب تعلمان أن هذه المحسوسات في هذا النمط تنبيه على وهم باطل، والوهم في الطبيعيات والإلهيات يعارض العقل في مأخذها، والباطل يشاكل الحق في مباحثهما[1]. وبعد أن نبه على هذا الوهم دعا إلى التأمل في هذا الوهم لكي تعلم بطلان قول هؤلاء الواهمين.

ويقول «وهم وتنبيه: ولعل قائلا منهم يقول: إن الإنسان مثلا إنما هو إنسان من حيث له أعضاء من يدوعين وحاجب وغير ذلك، ومن حيث هو كذلك فهو محسوس، فننبهه ونقول له ...»

فهو يعرض للوهم عرضاً أمينا غير مشوه، ثم ينقض عليه بتنبيه إلى فساد هذا الوهم، ثم يتلوه تذنيب أي تفريع لهذه الفكرة فيقول: «تذنيب: كل حق فإنه من حيث حقيقته الذاتية التي هو بها حق فهو متفق واحد غير مشار إليه، فكيف ما ينال به كل حق وجوده» ويظل يأتي بتنبيه ثم تنبيه ثم إشارة بعد إشارة ويستأنف تنبيها آخر يرد فيه بإشارة ثم تنبيه على أوهام حتى يخلص من كل هذا بفائدة.

هذا، ولئن دلت التنبيهات والإشارات على الجانب النقدي من أفكار ابن سينا في «الإشارات» فإن تلك الفوائد التي يأتي بها بين الفينة والأخرى تدل على الجانب الإيجابي أو البنائي في فلسفته.

(١) شرح الطوسي على الإشارات.

ويقول «هداية: إذا فرضنا جسما يصدر عنه فعل، فإنما يصدر عنه إذا صار شخصه ذلك الشخص المعين، فلو كان . . .» والبارز في هذا النوع أنه جدل لم يبلغ حد البرهان بالمعنى الصحيح، إذ البراهين عند ابن رشد أنواع هي: البرهاني، الجدلي، الخطابي، المغالطي، كما هو مفصل بكتاب «مناهج الأدلة».

ويقول «مقدمة: المعنى الحسي إلى مثله يتجه (هكذا) الإرادة الحسية والمعنى العقلي إلى مثله يتجه الإرادة العقلية، وكل معنى يحمل على كثير غير محصول فهو عقلي» يأتي ابن سينا بهذه المقدمة لإثبات النفوس الفلكية، ويأتي بعدها بإشارة إلى أن النفس الفلكية ذات إرادة عقلية، وهذه الفكرة الأخيرة ولاشك في حاجة إلى تلك المقدمة التي هي بمثابة مدخل لها. وبعد الفراغ من تبيان امتناع كون القوى الجسمانية غير متناهية التحريك بالقسر يأتي بمقدمة لبيان امتناع كونها غير متناهية التحريك بالطبع أيضاً، ويتلو هذه المقدمة مقدمتان بعدها يشير وينبه ما شاءت له الإشارات والتنبيهات.

ويقول: هداية وتحصيل: قد بان لك ... فيكون كذا ... وقد علمت أن ... فتكون كذا ... وقد علمت ... فيجب إذن أن يكون ... وأن يكون ...» ولاشك في أن هذه الهداية محصورة في قوله «بان لك» و «علمت» ولاشك أيضاً في أن التحصيل يعنيه قوله «فيكون» و «يجب أن يكون» وهما بمثابة نتيجة منطقية مترتبة على ما سبق من تبيان وعلم. ثم هو يأتي بعد هذا بزيادة وتحصيل، فيقول: وليس يجوز كذا ... ويلزم كذا فيجب أن يكون كذا ويعقب بزيادة تحصيل فيقول «فمن الضروري إذن أن يكون . . .» أي أن النتيجة صارت من القوة بحيث صارت ضرورية «أو من الضروري» على حد تعبيره. وثمت نوع غير التنبيه يجعل غير اليقظان كالنائم يقظان، ذلك هو التبصرة، وفيه يجعل غير البصير كالأعمى يرتد بصيرا، والفرق بين التبصرة والتنبيه أن البحث في تلك أوضح عما في ذاك. وعند المبالغة في حث الغافل عن إدراك شيء حاضر أمام عينيه إنما يكون بإيهامه بالعمى أكثر من إيهامه بالنوم، والحث بهذا النوع — على البحث كفيل بأن يصير الأعمى بصيراً ولاسيما في الموضوع

التي نحن بصدده ، وهو بيان أن النفس غير البدن ، وغير حالة فيه ، وذلك موضوع تبصرة من تلك التبصرات السينية .

ثم هو يستعمل اصطلاحا هو أشد من سابقه وأقوى مدلولا فيقول : زيادة تبصرة : تأمل أيضا أن القوى القائمة بالأبدان يكلها تكرر الأفاعيل لاسيما القوية منها . وخصوصا إذا . . وتزيد هذه التبصرة مرتين بعد هذا .

وهنا نشعر بأن ابن سينا قد انتقل من ميدان الإلهيات إلى ميدان البيولوجيا فيذكرنا بقوانين « التنبيه » وشتى الاستجابات المترتبة على التنبيه وكيف يتم ما يسمى في هذا العلم باسم « التوتر » و « فترة العصيان » ونقف قليلا حيال هذا الجلال الفلسفي لنرى كيف أن ابن سينا يلقى من الضوء الفلسفي على المشكلة بقدر ما تسمح به أهميتها ، فهو لا يتفلسف لأنه يريد أن يتفلسف ، وإنما التفلسف عنده غالي ثمين أو كما يقول الطغرائي : « غالي بنفسي عرفاني بقيمتها » ، ولأن « شرف العقل من شرف موضوع تعقله » كما يقول أرسطو .

وقفة أخرى عند براعة ابن سينا في إقامة القواعد والأصول لعلم النفس التعليمي . فقد كان بهذا سباقا إلى وضع تصميم لفن « التربية العملية » إذ ينبه الذكيان بإشارة ، ويبصر الأعمى على ضوء الفلسفة ، فيستبصر كلاهما على هدى من المعرفة ، فلا يعود يخبط أو يتوهم .

وابن سينا لا ينبه بإشارة حيثما اتفق ، ولا يبصر الأعمى كيفما كانت التبصرة ، وإنما كل شيء عنده بمقدار ، كما ينبه كلا بحسب طاقته ، فالعبد يقرع بالعصا ، والحر تكفيه الإشارة ، والأعمى يعوزه كشف الغشاوة عن باصرتيه ، ولا أظن بعد التبصرة زيادة لمستزيد بعد تحصيل الفائدة التي لا وراءها .

وإذا عرفنا أن الإشارة لغة هي الإيماء والتلويح بالكف والعين والحاجب وأن التبصرة لا تكون إلا بهتك الحجب ورفع ما للضباب من غشوط ، أمكننا أن ندرك إلى أي حد بلغ ابن سينا في براعته التعليمية . فها هو ذا ينتقل من الإشارة بالكف أو الاصبع يتطلبها كل ذهن بليد — إلى إيماء بالعين — يلازم الغامض الناشيء — إلى التخاطب بلغة العيون حين تأهبت القلوب وتعطلت لغة الكلام . قال ثعلب

نسي الهوى إلا إشارة حاجب   هناك وإلا أن تشير الأصابع

وزاد عليه شوقي إذ يقول

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت   عيني في لغة الهوى عيناك

وفي انتقال الإشارة هكذا من الكف إلى العين إلى الحاجب مسايرة لاستعداد المرسل إليه ، وارتقاء به أو على الأصح منه عن الطريق الحسي الوضع إلى عالم المعاني والأفكار ، والفكر قوة كما يقول Fouillée . ومن القلب إلى القلب رسول .

هذا ما تنطوي عليه الإشارات والتنبيهات وزيادات التنبيهات والتبصرات وزيادة التبصرات ، وما تتطلبه طبيعة كل ذهن من هذه الاصطلاحات « والرجل نفسه يقول في فاتحة الإشارات » وأنا أعيد وصيتي وأكرر التماسي أن يضن بما تشمل عليه هذه الأجزاء كل الضن على من لا يوجد فيه ما أشترطه في آخر هذه الإشارة » ولعل هذا مصدر الوحي للغزالي في كتابه « إلجام العوام عن علم الكلام » .

وبعد أن يستفيض ابن سينا في بحث ما ، يعقب بالتذكير فهو أجمع لمقاصد الفصول المتعلقة بهذا البحث ، والغرض منه هنا إنما هو « إعادة تصور الجميع معا » كما يقول الطوسي .

ويستعمل أيضا (متذكرة وتنبيه) فيقول « أليس قد بان لك كذا — وكذا » وهنا الاستفهام الاستنكاري معناه حث الذهن على استرجاع ما قد غاب عنه ، وهذه وسيلة لها خطرها في تحقيق النشاط الذهني التي لا يقل من التعبير شأنا . بل هو أمس بالحياة النفسية أو الذهنية منه بالجنبيات وما إليها .

وإنه ليدل قبيل النمط الرابع على « موعد وتنبيه » فيعني به في النمط السادس ويستخدم « النكتة » وهي في اصطلاحه ذكر لمثال من تلك الأمثلة التي تكشف من الغامض وتجلوه .

وهكذا يمنح ابن سينا ألفاظه حياة لها أطوارها ، وبذلك ثار على المعاني الجامدة التي كادت تودي بحياة اللغة والمعاني جميعا . وليست بدعة ابن سينا في هذا المجال قاصرة على نقل المعنى من الأصل إلى المجاز — فذلك عمل هين لين للأدباء والشعراء — وإنما الإبداع الحق في جعل اللفظ يحمل معنى نفسيا أي في منحه روحا يتحرك بها ويفعل ، وهذه ناحية أقفرت منها اللغة العربية وخلت منها ألفاظها .

وأمعن من ذلك في البراعة ما استجده ابن سينا في كلمة « الوهم » والأصل أنه الطريق الواسع ، أو الواضح الذي يرد الوارد ويصدر الصادر ، وهو أيضا الجمل العظيم والرجل العظيم . وإذ يقول ابن خلدون « تاهوا في بيداء الوهم » معناه أن الوهم

كالبيداء في سمتها على سبيل تشبيه المضاف إليه بالمضاف ، وقال لبيد:

ثم أصدر ناجيا في وارد   صادر وهم صداه كالمثل

وتقدم «الوهم» في سلم التطور والارتقاء حتى صار سراً نفسيا نترجم عنه خطرات القلب ، وجمعه أوهام . قال الشاعر : « فلأيا عرفت الدار بعد توهم » والتوهم – بمعنى التفرس – مرحلة انتقال من المادية إلى اللامادية .

ثم اصطبغ الوهم بصبغة معرفية فاعتبره « المختار من قبل التصور »[1] وقال لأحمد نكرى بصدد كلامه عن العلم » وهو دقيق ، وبحر عميق ، وبالمطالعة حقيق ، ولطالبي العلم يليق ، وهو بحث يتناول عند الحكماء : اليقين والشك والوهم والتقليد والجهل[2] » وصرح الغزالي[3] بأنه يعسر تحديد العلم بعبارة محررة جامعة للجنس والفصل الذاتيين فإن ذلك متعسر في أكثر المدركات الحسية فكيف لا يعسر في الإدراكات الخفية . والشك – عند صاحب دستور العلماء – هو تساوي طرفي الخبر : وقوعه ولا وقوعه . وقد يذكر الشك ويراد به الظن ، كما قالوا أفعال القلوب تسمى أفعال الشك واليقين . وإن لم يتساو الطرفان فالراجح ظن ، والرجوع وهم ، ويقول الزبيدي « هو مرجوح طرفي المتردد فيه[4] »

وانتقل الوهم بعد ذلك نقلة واسعة ، أخذ فيها صبغة تشريحية ظهر بعدها بطابع سيكولوجي متميز ، « فقالوا هو قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاوته ، وهذه القوة هي التي تحكم في الشاة بأن الذئب مهروب عنه ، وأن الولد معطوف عليه ، وهذه القوة حاكمة على القوى الجسمانية كأنها مستخدمة إياها استخدام العقل القوى العقلية بأسرها » .

هذا ما انتهى إليه الجرجاني[5] وتابعه فيه غيره[6] ، ونستطيع أن نعبر عن قصدهم بالوهم هنا بأنه « غريزة » من شأنها أن تكون قوة فطرية هدفها حماية الكائن .

غير أن الفارابي يرى أن « الوهم هو القوة التي تدرك من المحسوس ما لا يحس مثل القوة التي في الشاة إذا تشبح صورة الذئب في حاسة الشاة فتشبحت عداوته ورداءته فيها إذ كانت الحاسة لا تدرك ذلك[7] » .

أما الغزالي[1] في تقسيمه العلوم فيقول « والعلم الذي يتولى النظر فيما هو بريء عن المادة في الوهم لا في الوجود هو الرياضي » ويقول أيضا « الحواس الباطنة خمسة : الحس المشترك ، والقوة المتصورة ، والقوة المتخيلة ، والقوة الوهمية ، والقوة الذاكرة . . وأما الوهمية فهي التي تدرك من المحسوس ما ليس بمحسوس كما تدرك الشاة عداوة الذئب ، وليس ذلك بالعين بل بقوة أخرى وهي للبهائم مثل العقل للإنسان » .

وأخيرا لبس الوهم حلة صوفية ، فقالوا إن « الوهم عند عزرائيل من محمد (ص) : خلق الله وهم محمد من نور اسمه الكامل . وخلق عزرائيل من نور وهم محمد ، فلما خلق الله وهم هذا الإنسان من نور الكمال أظهره في الوجود بلباس القمر ، فأقوى شيء يوجد في الإنسان القوة الواهمة فإنها تغلب العقل والفكر والمصورة والمدركة وأقوى الملائكة عزرائيل لأنه خلق منه[2] وقالوا « إن الله تعالى جعل الوهم مرآة نفسه ومجلى قدسه ، ليس شيء في العالم أسرع إدراكا منه ، ثم اعلم أن الله لما خلق الوهم قال له : أقسمت ألا أتجلى لأهل التقليد إلا فيك ، ولا أظهر إلا في مخافيك[3] وأفرد أبو الحارث المحاسبي كتابا في « التوهم » كما استقصى مكدونالد « معنى الوهم في التفكير الإسلامي »

ولو أن فريقا من المتفلسفين أقاموا « معرض الأوهام » وعرض فيه كل فيلسوف وهمه لتميز ابن سينا بوهمه ما ذا هو عقل في صورة حيوان ، يقول : « والإدراك قسمان حيواني وإنساني ، والإدراك الحيواني إما في الظاهر وإما في الباطن فالإدراك الظاهر بالحواس الخمس والمشاعر والإدراك الباطن من الحيوان بالوهم ، وحوله كل حس من الحواس الظاهرة يتأثر من المحسوس مثل كيفيته »[4] ويقول أيضا « ثم في الحيوان قوة تسمى بالمتوهمة والظانة وهي تحكم على الشيء بأنه كذا أو ليس كذا بالجزم ، وبها يهرب الحيوان عن المحذور ، ويقصد المختار ، وهي غير المتصورة وغير المتخيلة أيضا[5] » وأخذت مدموازيل جواشون   تستعرض في ثبتها الطلق كل معاني الوهم والتوهم والوهميات كما وردت في كتب ابن سينا ولا سيما في الإشارات ومنجاة والشفاء .

ويأبى الرازي إلا أن يجعل هذا الوهم مصدر التلطف

(١) كشاف اصطلاحات الفنون
(٢) شمس المرجع .
(٣) القوى الإنسان وإدراكاتها
(٤) مبحث في القوى النفسانية .
(٥) مقاصد الفلاسفة

(١) كشاف اصطلاحات الفنون
(٢) دستور العلماء .
(٣) المستصفى .
(٤) تاج العروس .
(٥) التعريفات .
(٦) تاج العروس ، وفرائد اللغة ، والإفصاح ، ودستور العلماء .
(٧) فصوص الحكم .

الإنسان : (إن العقل لا يعرض له الغلط إلا من قبل هذه القوة المسماة بالوهم ، وذلك سبب إطلاق لفظ الوهم على الرأى الباطل مجازا ، تسمية المسبب باسم السبب، فظهر أن تسمية الرأى الباطل بالوهم أولى من تسميته بالخيال، فإن سبب الرأى الباطل ليس هو الخيال بل الوهم [4]) ويقول فى موضع آخر (يريد الشيخ بالوهم فى هذا الكتاب المذهب الباطل أو السؤال الباطل ، وذلك لأن العقل قد يعرض له الغلط من قبل معارضة الوهم إياه ، فتسمية الرأى الباطل بالوهم تسمية المسبب باسم السبب مجازا ...)

وعلى ذلك فإن ابن سينا فى إشاراته إلى الوهم قصد به كقوة وكباطل ، ولكل منهما فى اللغة الفلسفية التى ابتدعها ابن سينا ، وحدد نطاقها . ولعل فى مقالى هذا ما يقنع المتفلسفين بأن تراث ابن سينا يتطلب فى فهمه وتقديره إحاطة واسعة بشتى ضروب العلم والعرفان التى طرقها فيلسوف الإسلام وجالينوس العرب ، وأجاد فيها وأفاد . وهنا فقط تسكن الفلسفة حقا وصدقا شيخ العلوم».

محمد محمود زيتوده

تاريخ الدولة الرسولية باليمن

وعلاقتها بمصر

١٢٢٩ - ١٤٥٤ م

٦٢٦ — ٨٥٨ هـ

للأستاذ أحمد مختار العبادى

اختلف المؤرخون حول نسب بنى رسول ، فنسبهم البعض إلى أصل تركمانى ، ونسبهم البعض الآخر إلى أصل عربى . ومن القائلين بالرأى الثانى المؤرخ على بن الحسن الخزرجى الذى عاش فى كنف تلك الدولة فى القرن الثامن الهجرى ، إذ قال « ونسبهم من يرفعهم إلى غسان ومن لا يرفعهم إلى التركمان »[1] .

ورسول هذا الذى تسمت باسمه هذه الدولة، هو محمد بن هارون الذى أدناه الخليفة العباسى المستنجد واختصه برسالته إلى الشام ومصر فأطلق عليه اسم رسول وشهر به وترك اسمه الحقيق حتى جهل . ثم حدث أن انتقل رسول هذا مع أولاده وأسرته إلى مصر إبان قيام الدولة الأيوبية ، فأرسلهم السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى صحبة أخيه الملك المعظم توران شاه عند فتحه اليمن . ودخل توران شاه اليمن سنة ١١٧٣ م (٥٦٩ هـ) ثم لم يلبث أن عاد إلى مصر سنة ١١٧٥ م (٥٧١ هـ) وصار يحكم اليمن عن طريق نوابه حتى مات سنة ١١٨٠ م . وحكم اليمن بعد توران شاه عدة من أبناء البيت الأيوبى مات أحدهم مقتولاً وآخر مسموما .

ولما تولى السلطان العادل الأول الأيوبى ملك مصر ، أرسل حفيده الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الكامل — المعروف باقسيس — إلى اليمن سنة ١٢١٥ م (٦١٢ هـ) وكتب إلى أولاد على بن رسول والأمراء المصريين باليمن يأمرهم بطاعته .

ولقد قويت مكانة بنى رسول وعظم نفوذهم فى عهد الملك المسعود حتى اشتد خوف بنى أيوب على ملك اليمن منهم ، واضطر الملك المسعود أن يسجن اثنين من أبناء على بن رسول سنة ١٢٢٧م ولكنه أبقى على الابن الثالث نور الدين عمر وجعله أتابكه .

وفى سنة ١٢٢٨ م (٦٢٥ هـ) عاد الملك المسعود إلى مصر بعد أن قلد أمور اليمن إلى أتابكه نور الدين عمر وجعله نائبه بها . وتوفى الملك المسعود فى مكة أثناء عودته إلى مصر سنة ١٢٢٩ م (٦٢٦ هـ) فقام نور الدين عمر بحكم اليمن قياما كليا ، وأضمر الاستقلال بملكها ، وأخذ يولى فى المدن والحصون من يرتضيه ويثق به ، ويعزل ويقتل من يخشاه أو يخالفه ؛ ولكنه مع ذلك أظهر أنه نائب للمسعود ولم يغير سكة ولا خطبة » .

ولم يعلن نور الدين عمر استقلاله بملك اليمن وخروجه من طاعة سلطان مصر إلا فى سنة ١٢٣٢ م حينما ضرب السكة باسمه وأمر الخطباء أن يخطبوا له فى سائر أقطار اليمن . ولم يكتف نور الدين بذلك بل أخذ يتقرب من الخلافة العباسية ببغداد ملتمسا منها تشريفه بخلعة السلطنة أى الاعتراف به سلطانا شرعيا على اليمن . وقد أرسل له الخليفة العباسى المستنصر بالله التشريفة الخليفية والتقليد من طريق الحجاز سنة ١٢٣٣ م ولكنها نهبت فى الطريق ولم يصل منها شئ إلى اليمن . واضطر الخليفة العباسى أن يرسل غيرها فى العام التالى من طريق البحر — طريق البصرة والخليج الفارسى والمحيط الهندى ؛ وعند وصولها اليمن سنة ١٢٣٤م ارتقى رسول الخليفة منبر مدينة جند وقال : « يا نور الدين ! إن المولى

(١) الخزرجى : العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية ج ١ ص

يقرئك السلام ويقول قد تصدقت عليك باليمن وولايتك إياه ؛ ثم ألبسه الخلعة الشريفة على المنبر . ولم يكتف السلطان نور الدين بملك اليمن بل حاول السيطرة على الحجاز وانتزاعه من أيدى المصريين ، فأخرج الجيوش المصرية من مكة المشرفة مرة بعد أخرى واستمال عدة من قوادها ونخص بالذكر القائد المصرى مبارز الدين على بن برطاس الذى استأمن لنور الدين ودخل فى خدمته سنة ١٢٤١ م (٦٣٩ هـ) وبذا امتد نفوذ بنى رسول من مكة إلى حضرموت .

ويروى الخزرجى أن عهد ذلك السلطان انتهى فى ذى القعدة سنة ٦٤٧ هـ (١٢٥٠ م) عندما اغتاله بعض مماليكه وقتلوه فى قصر الجند ، كما يروى أن هذا السلطان « استكثر من المماليك البحرية حتى بلغت عدتهم ألف فارس وقيل ثمانمائة ، وكانوا يحسنون من الفروسية والرمى مالا يحسنه المماليك فى مصر . وكان معه من المماليك الصغار قريب منهم فى العدد خارجا عن حلقته وعساكر أمرائه » . ويلاحظ من رواية الخزرجى أن وفاة السلطان نور الدين عمر كانت فى نفس السنة التى توفى فيها السلطان الصالح نجم الدين أيوب فى مصر ، وهذا يدل على أن فرقة المماليك البحرية التى أسسها نور الدين عمر باليمن تكونت فى نفس الوقت الذى تكونت فيه بمصر فرقة المماليك البحرية الصالحية التى أسسها السلطان أيوب . وهذا يدل ضمنا على وجود اتصال وثيق بين مصر واليمن ، كما يدل أيضا على بطلان الزعم القائل بأن لفظ بحرية يرجع إلى بحر النيل وذلك بعد أن ثبت فعلا وجود فرقة من المماليك البحرية بعيدة عن مصر والنيل . (١)

ومهما يكن من شىء فقد استطاع قتلة السلطان نور الدين أن يجذبوا بقية المماليك إلى جانبهم وأن ينادوا بابن أخ للسلطان القتيل يدعى فخر الدين ، سلطانا على اليمن ، ويسيروا معه نحو العاصمة زبيد لاحتلالها ، ولكن الدار الشمسى إبنة السلطان المتوفى استطاعت أن تدافع عن المدينة ببسالة ريثما يجىء أخوها الملك المظفر بن نور الدين الذى كان مقيما بحصن المهجم ، والذى حينما علم بوفاة أبيه وأطماع ابن عمه فى ملك اليمن ، أسرع من فوره نحو زبيد فى فبراير سنة ١٢٥٠ م ، وسار كلما مر بقبيلة من العرب استخدم خيلها ورجلها حتى تجمع له جيش ذوى أوقع الرعب فى صفوف أعدائه . وعلى أثر ذلك اجتمع رؤساء المماليك وأعيانهم وهم غالبية جيش الأمير فخر الدين وكتبوا إلى الملك المظفر يطلبون منه الأمان ، فأمنهم على أن يسلموه ابن عمه وجماعة المماليك الذين قتلوا أباه . فأجابوه إلى طلبه ودخل المظفر مدينة زبيد فى موكب عظيم فى مارس سنة ١٢٥٠ م . واستطاع السلطان المظفر فى ظرف ثلاث سنوات أن يستعيد جميع ممتلكات والده التى استقلت عقب مصرعه وأهمها صنعاء والدملوة وتعز ، كما استطاع أن يقضى على ثورة شرفاء الزيدية ومن انضم إليهم من المماليك فى صنعاء سنة ١٢٦٠ م .

وتروى المصادر المعاصرة أنه فى سنة ١٢٦١ م (٦٥٩ هـ) سار السلطان المظفر بجيش كبير إلى مكة لأداء فريضة الحج . وهناك « طلعت أعلامه الشريفة وأعلام سلطان مصر ، فقال له أحد الأمراء : هلاّ أطلعت أعلامك يا مولانا السلطان قبل أعلام المصريين ؟ فقال له السلطان المظفر : أترانى أؤخر أعلام ملك كسر التتر بالأمس وأقدم أعلامى لحضورى ؟ » . وهذه العبارة إن دلت على شىء، فإنما تدل على مقدار النفوذ الذى اكتسبته مصر فى أنحاء العالم الإسلامى عقب انتصار سلطانها الملك سيف الدين قطز على المغول فى واقعة عين جالوت بفلسطين سنة ١٢٦٠ م .

وكيفما كان الأمر ، أجمعت المصادر المعاصرة على أن السلطان المظفر كان حاكما قويا موفقا . وقد لقبه الخزرجى بلقب خليفة فى آخر حكمه . وتوفى السلطان المظفر سنة ١٢٩٤ م وخلفه على عرش اليمن ابنه الأشرف عمر ثم ابنه المؤيد داود سنة ١٢٩٧ م .

وفى عهد السلطان المؤيد (سنة ١٣١٨ م) أعيد تنظيم الجيش اليمنى على نظام الجيش المصرى، فيروى الخزرجى أن الأمير علاء الدين كشدغدى « رتب عساكر السلطان المنصورة على ترتيب العساكر المصرية وجعل لها جناحا الميمنة وجناحا الميسرة وجعل خلف السلطان عصائب كثيرة ، وركب المماليك بالنفخ وجعل منهم طائفة طبردارية ، وركب السلطان بهذا الزى » . ويجدر بنا أن نلاحظ بصدد تاريخ هذا التنظيم أنه يوافق عهد سلطنة الناصر محمد فى مصر أى فى الوقت الذى تبلورت فيه النظم المملوكية فى مصر وبلغت ذروة الازدهار ، فلا عجب إن صارت مصر فى ذلك الوقت قبلة أنظار الدول الإسلامية الأخرى وموضع محاكاتها .

وتوفى السلطان المؤيد سنة ١٣٢١ م وخلفه ابنه المجاهد الذى

(١) راجع (زيادة : بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك « مجلة كلية الآداب » المجلد الرابع سنة ١٩٣٦ .
انظر كذلك (مختار العبادى : « دولة المماليك البحرية » عدد الرسالة رقم ٧٦٤ (١٩٤٧) .

سرعان ما قبض عليه عمه المنصور بن الظافر وسجنه في قلعة تعز وأعلن نفسه سلطاناً سنة ١٣٢٢ م . غير أن مماليك السلطان المجاهد تمكنوا من تسلق حصن تعز خفية وأطلقوا سراح أستاذهم المجاهد وقبضوا على المعارضين لسلطته وعلى رأسهم الملك المنصور الذي حل محل ابن أخيه في السجن .

وكان السلطان المجاهد يخشى قوة المماليك البحرية ، ويخاف خطرهم ولذا « دارت بينه وبينهم عهود وذمم وكتب لهم ميثاقاً بالأمان والوفاء ونادى لهم بذلك في الأسواق وجامع الناس » . غير أن المماليك البحرية سرعان ما قلبوا له ظهر المجن وثاروا عليه سنة ١٣٣٢ م وهاجموا مدينتي تعز وجند ، وعاثوا فيها فساداً كما هاجموا مدينة زبيد واحتلوها . ولما علم السلطان بما فعله المماليك ، أمر بقطع أعطياتهم حتى « تسبوا وباع الكثير منهم عدته وثيابه ، وجاهروا السلطان بالقبيح » . ولم يكتف السلطان بذلك بل أمر بإباحة قتل المماليك ونهبهم ، ووزع قواته على مختلف الطرقات لحراستها وحفظها من عيثهم . ولم يستطع السلطان كبح جماح المماليك إلا في سنة ١٣٢٤ م حينما أوقع بهم الأشراف والأكراد هزيمة منكرة في وادي جاحف بالقرب من المهجم ، حيث قتل كثير من أعيان المماليك نذكر منهم أزبك العارقي ، ولطينا الجموري وأيبك السراجي . واحتل السلطان مدينة زبيد وخطب له على منابرها سنة ١٣٣٥ م .

ويروي الخزرجي في حوادث سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) من عهد السلطان المجاهد أن جيشاً مصرياً يبلغ عدده ألف فارس ، وصل إلى اليمن في شهر رجب (يونيو) من تلك السنة وعليه الأمير سيف الدين بيبرس والأمير جمال الدين طيلان ، ومعهم اثنان وعشرون ألف جمل تحمل عددهم ، فاستقبلهم السلطان في زبيد ، فلما دنوا منه ترجلوا وقبلوا الأرض بين يديه وساروا في خدمته ساعة ، وألبسوه خلعة فاخرة وعمامة بمدجين . وبعد أن أقاموا في زبيد مدة أيام صحبوا السلطان إلى تعز . ويضيف الخزرجي أن المصريين عاثوا في المدينة فساداً ، فكانوا لا يجدون طعاماً إلا أخذوه بثمن بخس وانتهبوا بيوتاً كثيرة ، وضربوا كثيراً من الناس حتى قتلوهم ، وقطعوا جميع الزرع في مدينة تعز وضواحيها ، وارتفعت أسعار الحاجيات وضاقت البلاد على أهلها .

ولم يرحل الجيش المصري من اليمن متوجها إلى الشام إلا في شهر يوليو (شعبان) من نفس السنة ، وقد فرح أهل اليمن برحيلهم .

وتوفي السلطان المجاهد سنة ١٣٦٣ م وخلفه ابنه الأفضل العباسي الذي تخلل عهده عدة ثورات قام بها الأشراف والمماليك وبعض أخوته . وبالرغم من أن أجزاء كثيرة من الدولة الرسولية استقلت في عهد السلطان الأشرف بن الأفضل سنة ١٣٧٩ م ، فإن نفوذ ذلك السلطان ظل قويا وظلت وفود الدول المجاورة مثل الهند والحبشة تفد إليه تخطب وده وتقدم له مختلف الهدايا . وبعد موت السلطان الأشرف سنة ١٤٠٠ م صار تولية السلاطين وعزلهم يحدث في فترات قصيرة تخللها عدة ثورات المماليك ونخص بالذكر المماليك المصريين المقيمين باليمن والمعروفين هناك باسم « المماليك الغرباء » .

وانتهى الأمر باستيلاء بني طاهر على اليمن سنة ١٤٥٤ م فانتهت بذلك دولة بني رسول .

من كل ما تقدم نرى أن هناك أوجه شبه عديدة بين الدولة الرسولية في اليمن ودولة المماليك في مصر . فلقد عاصرت كل منهما الأخرى تقريباً إذ قامت الدولة الرسولية سنة ١٢٢٩ م أحد وعشرين سنة قبيل قيام الدولة المملوكية ، وظلت تلك الدولة زمنا وعاصرت الدولة المملوكية بمصر حتى سنة ١٤٥٤ م . وكان سلاطين الدولتين في بادئ الأمر أتباعا لسلاطين الأيوبيين ثم تمكنوا بقوة نفوذهم وضعف أسيادهم أن يستأثروا بالملك لأنفسهم . واعتمدت كلتا الدولتين على فرق من المماليك ولا سيما المماليك البحرية الذين لعبوا دوراً خطيراً في تاريخ كلا البلدين . هذا وقد عرف عن سلاطين الدولتين بصفة عامة ميلهم الشديد نحو الفنون والآداب وبناء المدارس والمساجد والقصور . وهناك وجه شبه أخير تلمسه في تقرب سلاطين الدولتين للخلافة العباسية ببغداد لأن اعترافها بهم سوف يقوي من نفوذهم الأدبي ويكسبهم صفة شرعية للحكم . وقد ظلت الدولة الرسولية على ولائها واحترامها للخلافة ببغداد حتى بعد أن قضى المغول عليها وقتلوا الخليفة المستعصم سنة ١٢٥٨ م (٦٥٦ هـ) إذ ظل اسم الخليفة المقتول يدعى له على سائر منابر اليمن حتى أواخر القرن الثامن الهجري . وفي ذلك يقول الخزرجي « في سنة ٦٤٠ هـ مات الخليفة المستنصر وتولى الخلافة بعده ولده المستعصم بالله أمير المؤمنين أبو أحمد ، وهو الذي يدعى له على سائر منابر إلى وقتنا هذا من سنة ثمان وتسعين وسبعمائة » .[1]

(١) الخزرجي : العقود اللؤلؤية جـ ١ ص ٦٩ .

الاسكندرية أحمد مختار العبادي

الشعر المصرى فى مائة عام

للأستاذ محمد سيد كيلانى

الدور الأول

١٨٥٠ — ١٨٨٢

٣

١ — أغراضه

بقيت أغراض الشعر فى هذا الدور كما كانت عليه من قبل . فكان باب المدح يحتل معظم ديوان الشاعر ، فالشاعر فى هـذا العصر مداح ليس إلا ، يعيش ليمدح هذا وذاك ، وينظم القصائد الطوال فى الإشادة بمناقب هذا الأمير أو ذاك الوزير ، راجيا صلة أو وظيفة أو ترقية أو علاوة . فإن رأيت شيئا غير المدح فهو قليل لا يكاد يذكر . وكانت قصائد المدح تبدأ غالبا بغزل متكلف مصطنع .

وكانوا يبدأون قصائد الرثاء بالتحدث عن الموت الذى يسطو على الناس فيختار الجياد منهم . ويشيرون إلى هلاك الملوك وفناء العظماء . ويذكرون استحالة البقاء وأن الموت غاية كل حى ، وطريق تسير فيه السادة والعبيد ، والأغنياء والفقراء ، والصعاليك والأمراء . ثم ينتقلون من هـذا إلى ذكر مناقب الفقيد والتنويه بمزاياه وصفاته . ثم يختم الرثاء بإشارة موجزة إلى ما أعد للفقيد فى الجنة من نعيم مقيم وحور عين . ومثال ذلك قول الليثى فى رثاء عبد الله فكرى :

ومن بان عنا فى الفراديس نامم بظل ظليل دوحه يتهدل
بنازل ولدانا وحورا على صفا وفى حسنها من لطفه يتنزل
تبارك من قد غاره لجواره وخيره فى أنعم تتذلل

وإذا رثى الشاعر زوجته أو ابنه أو بنته أو أباه وصف أدوار المرض التى تقلب فيها الميت وأشار إلى الطبيب وما قام به من علاج ، ومثال ذلك قول صالح مجدى يرثى زوجته :

ولا كان « بدره » جاء يحيى مواتها بطب ضعيف كان فيه أذاها
فإن انصباب الماء من فوق رأسها على رغم أنفى كان فيه بلاها
وفى الأخذ منها للدماء مدامى روت كل أرض لا يقاس فضاها
وفى الخردل الموضوع من فوق ساقها
شواظ بقلب فيه شـــديد سماها

وهكذا قص علينا الشاعر ما حدث لزوجته إبان مرضها ، مستمدا القول من الواقع لا من الخيال . وهـذه طريقة جديدة فى الرثاء لم نعرف من قبل .

ومنذ عصر سعيد بدأ الشعراء يصفون بعض المخترعات الحديثة كالسفن البخارية وآلات الرى والأسلاك البرقية والسكك الحديدية والكبارى والقطر وغير ذلك مما ظهر وانتشر . ولكن الشعر الذى قيل فى هذا الغرض كان قليلا جدا .

وكان بعض الشعراء فى هذا الدور إذا وصف حفلة من الحفلات أو مشهدا من المشاهد انغمس فى الواقعية إلى أبعد حد ، وحرص على أن يسجل فى شعره كل صغيرة وكبيرة مما تراه عينه . ومثال ذلك قول عبد الله فكرى حينما عاد من مؤتمر المستشرقين :

مولاى قد سرنا بأمرك نبتغى لرضاك ما تسمو به الأقدار

ومنها :

ثم امتطينا للسويد ركائبا لا الركض يجهدها ولا التيار
تسعى على عجل إلى غاياتها كالماء ساعد جريه التيار
سرنا بهن على الهدى فأصبحت فى « استكهلم » وقد بدا الإسفار
ولقيت صاحب تاجها فى قصره والوفد ثم بصحبتى نظار
فـدنا وصافح باليمين مرددا شكر الخديو يزينه التكرار
فشرعت مقتصدا أجاوبه بما أرضاه لا قل ولا إكثار

وهذه الطريقة الواقعية التى أغرم بها بعض الشعراء فى ذلك العصر قد جعلت قصائدهم شبيهة بالتقارير التى يدون فيها كل شىء مع مراعاة الترتيب الزمانى والمكانى .

وفى عصر سعيد كثر إقبال الشعراء على نظم الأناشيد العسكرية الحماسية وقد سبقت الإشارة إلى ذلك . وأخذ بعضهم يصف القلاع والحصون ويذكر البنادق والمدافع .

وفى عهد اسماعيل تأثر الشعراء بالحياة الاجتماعية الجديدة فذكروا القصور والبساتين والشوارع والميادين ومصالح الحكومة ودواوينها . وأخذوا يشيرون إلى إضاءة المدينة بمصابيح الغاز وتوصيل المياه إلى المنازل وغير ذلك من مظاهر الحضارة والعمران .

وفى أواخر هـــذا العصر بدأ الشعر السياسى فى الظهور . ورأينا قصائد قليلة تنظم فى نقد المجتمع وفى الشكوى من تغلغل النفوذ الأجنبى .

وحينما تولى توفيق ارتفعت أصوات الشعراء مطالبين بالإصلاح ورفع المظالم التى حاقت بالشعب . وهكذا أصبح الشعراء ينظرون

إلى الصالح العام بعد أن كانوا ينظرون إلى صالح أنفسهم . ولكن يجب أن نقول بأن النظرة الذاتية كانت غالبة فتأمل في قول الساعاتي حين يمدح اسماعيل صديق فيقول :

وحسبك بالإجماع منا فمادح | بمجدك غريد وآخر باغم

وقد أجمع الناس واتفقت كلمة المؤرخين من مصريين وأجانب على أن اسماعيل صديق كان مثالا للظلم والقسوة وعلى أنه هو الذي جر البلاد إلى الخراب والدمار وأرهق الفلاحين وأثقل كواهلهم بالضرائب الفادحة . ولكن الساعاتي لم ير بأسا في الكذب ولم يجد ضيرا في الافتراء . فهو في نظير مصلحة يرجوها أو عطاء يؤمله قد صور الناس مجمعين على التغني بفضائل اسماعيل والإشادة بمناقبه . على أن هذه النظرة الذاتية والتضحية بمصلحة المجتمع في سبيل مصلحة الشاعر قد لازمت الشعراء المصريين حتى هذه الأيام .

وقلت المدائح النبوية في هذا الدور حتى أننا لا نجد للشعراء في هذا الباب شيئا ذا قيمة اللهم إلا قصيدة بديعية للساعاتي ضمنها مائة وخمسين نوعا من أنواع البديع .

وظهرت في عهد اسماعيل الأناشيد المدرسية التي يلقيها الطلبة في الحفلات . وفي هذه الأناشيد إشادة بقيمة العلم ومنافعه للأمم والشعوب والترغيب في الجد والاجتهاد والاستعداد ليوم الامتحان الذي يكرم المرء فيه أو يهان كما كانوا يقولون .

وفي هذا العصر أكثر الشعراء من نظم التواريخ وذلك لكثرة ما أقيم من المعاهد والمدارس والمصانع والقلاع والحصون والقصور والمساجد ، وقد أرخ الشعراء حفلات أنجال اسماعيل في شعر كثير .

وحينما شبت الحرب بين الانجليز والعرابيين انضم إلى الحركة العرابية شعراء كثيرون في القاهرة والأرياف وأخذ هؤلاء الشعراء ينظمون القصائد الحماسية في الحض على الجهاد والتحريض على الكفاح وفي هجاء الإنجليز وكل من يتعاون معهم . ومن هؤلاء الشعراء محمد النجار وله قصيدة جاء فيها « والخطاب لعرابي » :

فازحف بجيشك بالمظفر ضاربا | في الانجليز وقاتلا سيمورا
واقطع بسيفك أمة قد أصبحوا | أنثى عليهم إذ عدمن ذكورا

ومنها في هجاء الانجليز .

قوم تربوا في الثلوج فطبعهم | يهوى البرود ولا يطيق حرورا
كتبوا لسيدة لهم أن جهزي | غنما لعيد المسلمين كثيرا
يا انجليز ومن ينادي ميتا | يخطي وكيف أخاطب المقبورا

ولأحمد عبد الغني قصيدة مطلعها :

لعمرك ليس ذا وقت التصابي | ولا وقت السماع على الشراب
ولا وقت الجلوس على القهاوي | ولا وقت التغافل والتغابي
ولا وقت التشبب في سليمى | ولا وقت التشاغل بالرباب

إلى أن قال :

ولكن ذا زمان الجد وافى | وذا وقت الفتوة والشباب
ووقت الاتحاد مع التصافي | وعقد عرى الإخاء والانتساب
ووقت ليس فيه يليق إلا الـ | إقامة بالقلاع وبالطوابي
ووقت فيه الاستعداد فرض | لتنفيذ الأوامر من عرابي

وامتازت هذه القصائد بظهور العاطفة الوطنية فيها ظهورا لم يعرف من قبل . ولو طال أمد الحرب بين المصريين والبريطانيين لاستفاد الشعر كثيرا . ولكن الحرب انتهت في مدة وجيزة ، لذلك انطفأت هذه الجذوة بانتهاء الحرب .

ولما قضي على الحركة العرابية أخذ شعراء الخديو ينظمون القصائد في مدحه ، وقد مزجوا هذا المدح بالتحريض على التنكيل بالعرابيين وأطلقوا عليهم اسم « العصاة » و « البغاة » . ومن أشهر ما نظم في هذا الغرض قصيدة لمصطفى صبحي باشا دعاها « صدق المقال في مثالب البغاة الجهال » قال إنه ذكر فيها « دسائس الأشقياء الملحدين ، ومفاسد الأغبياء المتمردين وكيف قابلوا الإحسان بالكفران والنعمة بالطغيان من مبدأ أمرهم ليوم سفرهم » ومطلعها :

تبين عقبى غيه كل معتدى | وأمسى العرابي وهو بالذل مرتدى
يعض بنان المستكين ندامة | ويقرع بالإذلال سن المهند

وعقيب اخماد الحركة العرابية أقبل الشعراء الذين كانوا قد انضموا إليها على نظم القصائد في الاعتذار عما فرط منهم والتنصل مما عزي إليهم من تهمة الاشتراك في حركة العصيان .

* * *

روح ومادة

للأستاذ ثروت أباظة

صديق رجل أرضي مغرق في أرضيته ... تعرض عليه فهو من أشد محبيها ، ويحرص عليها فهي في عينيه طريق اللقمة إلى جوفه ، واللذة إلى جسده ، والقرش إلى جيبه .. وتفكيره لا يذهب به إلى أكثر من لقمة ولذة وقرش ، وحياته أو الحياة كلها في راسخ عقيدته هي هؤلاء الأرضيات الثلاث؛ فالأرض إذن هي الحياة ، فهو متمسك بها تمسكه بالحياة ، حريص عليها حرصه عليها ، فما يمتد له خلفها شدف ولا يلوح له بعدها غاية .. هو صديق لأن طرق الحياة كثيراً ما ترى بالند إلى غير نده . فنحن مختلفان مزاجا ، مفترقان رأيا ، مجتمعان في صداقة أشبه ما تكون بتلك القائمة بين الشيوعية والديمقراطية ، ولكننا لا نشبه هاتين الجهتين في سوء الطوية وسواد السريرة .. وصديق متبجح .. فهو لا يمخزى مطلقا أن يعرض آراءه ويدافع عنها وكأنها مثل العالم الرفيعة ، بل هو يريد الجم أن يسير على هداه الاغبر ، فهو ما زال يندد بأفكاري الصبيانية الصغيرة في سخرية تواتيه على سليقة .

انا مكان يجمعنا فكأننا كنا أصحابه ، لا يدور فيه غير النقاش ، ولا نقاش يدور به إلا وهو محتدم ولا انتهاء لنا إلا بافتراق الرأي وتباين الفكرة وصفاء النفس . وإن أحداً منا لا يحاول مطلقا أن يقنع أو يقتنع ، وإنما نلق بأقوالنا لمجرد القائها ، فاذا جاء صديق هذا كنا جميعا على جانب وكان هو في الجانب الآخر متمسكا بأرضيته لا يحيد عنها ولا يتحلى عنه .

وكان أن جاء وأحد الصحاب يتكلم في الأدب ، فقعد يستمع وطال الحديث ودار النقاش وهو صامت لا يعد اليه لسانا .. فسأله أحد الجالسين :

— خيراً .. تصمت لأول مرة في حياتك .. فما خبرك !

— أو رأيتني عمرك أتكلم في الأدب ؟

— أو شرف هذا ؟

— ... إنما هي حقيقة

— حقيقة مخجلة !

— هذا رأيك

— ورأى كل إنسان

وما الانسان في عقيدتك ؟

— هو تلك الروح السامية التي وهب الله لها العقل لتفهم ، والقلب تسرى به العواطف رفيعة ، وهو الشعور الرهيف والحس الدقيق والذوق .

— الفن والأدب العالي وسائر ما تهرف به أنت وصحبك هؤلاء ليقنع كل منكم الآخر أنه ، فنان وتستطيلون أن المخلوق غير الفنان حيوان ، وأنكم أنتم وحدكم الصفوة المختارة والرهط ...

لم أطق السكوت بعد أن أشار الينا بسخريته الصفيقة فقلت له .

— من قال ذا ... وما شأنك والفنان حتى تعرض به ..

— ما شأني .. أماسونية هي ! ماذا تريدني أن أكون حتى أتكلم عن الفن .. هل حتم علىّ أن أملأ صفحة عما علاً حتى أصبح فنانا

— من قال إن الفنان صفحة

— فما هو إذن

— هو الذي علمه الأدب أن يقول من هو لا ما هو . الفنان

وانتشر في هذا العصر الفخر الكاذب . فترى الشاعر يفخر بنفسه ويسند إليها من الصفات ما ليس منها . ومثال ذلك قول الساماني :

ماذا تريد الحادثات من امرىء من جنده الأمراء والشعراء

فأى الشعراء هؤلاء الذين كانوا من جنده ؟ ومن هم الأمراء الذين كانوا من عسكره ؟ وتأمل في قوله :

أنا ذلك الصل الذى من نابة تلو المنون وتلوى الرقطاء

وفي هو القوس الأبد مقولي !! وتر الشديد وأسهمى الإنشاء

متمكن ينظم في البديع فرائدا من دونها ما يلفظ الدأماء

ولا شك في أن هذا بعد عن الحقيقة وكذب وافتراء ، وتقليد أعمى لبعض القدماء .

وأكثر الشعراء . فاذا نظم أحدهم قصيدة وصفها بالجودة والانفراد في الحسن . ومثال ذلك قول صالح مجدى .

امولاى هابكرا تتيه بحسنها وتفضل بالألباب فعل مدام

وهذا الشاعر يختم قصائده في الغالب بمثل هذا الفخل الكاذب .

هذا ما يمكن أن يقال من أغراض الشعر في هذا الدور .

« يتبع » محمد سيد كيلاني

هو ذلك الانسان الذي يحرص بالاقناع على لسانه وفى عقله؟ وهو ذلك الرؤوف الشفيق، هو ذلك القلب الخافق والشعور الرهيف ان فى المخلوق ناحيتين: ناحية تنتظم العقل والقلب والحس، وأخرى تحوى المعدة وما يتلوها مما وهب الله للحيوان؛ فمن نظر إلى عقله وقلبه وحسه كان إنسانا. والانسان فنان لأنه يغلب الشعور على المادية. ومن نظر إلى معدته كان حيوانا، لأنه يبحث دائما عما يسكت به نهمه

— الله.. شرع أنت شرع.. على أنى حتى إذا طبقت قولك هذا على نفسى وجدتنى إنسانا فأنا أغلب العقل دائما..

— يخيل إليك أنك تغلبه.. وأنت دائما تقول إنك تغلب العقل على شعورك وعاطفتك وهذا كذب لأنك إذا كنت تنظر إلى نفسك دائما وتعمل فأنت إنما تغلب أنانيتك لا عقلك.

— وما ترانى فاعلا إذا نظرت إلى نفسى بعاطفتى وحسى. أترانى أجد عاطفتى تكرهنى. اللهم إنكم جميعا تعلمون أن أحب خلق الله إلى نفسك هى نفسك.

— نعم نعلم ذلك، ولكننا نوجهها بعمل الخير لغيرنا ويحب الخير للناس. والنفس الانسانة هى تلك.. ليست والله لقمة وقرشا.. هى حب وعاطفة.

— تتكلم وكأنك جاهل أحمق.. ألم تقرأ آخر ما كتب علماء النفس.. ألم يقولوا أن كل الأعمال مردها إلى الغريزة فأين من هذا الشعور والعاطفة.. فالحب الذى تقول عنه ما هو إلا غريزة

— هو ذاك ونحن نعلمه قبل أن تسمع به أنت.. غير أننا نعرف أيضا كيف نهذب هذه الغريزة ونرقى بها..

— أرنى بربك.. هذب فرقى ولك الأجر والثواب عند الله

— هذا اليك. أنظر إلى الأمور بقلبك وشعورك وعقلك تهذب غريزتك وتصبح إنسانا.. الانسان هو من يستطيع أن يغلف هذه الغريزة. وعمل الفنون فى كل العالم هو أن يضربوا حول الغريزة سياجا من الوميض يصيهم منها فيرتفعوا بانسانيتهم.

— تدعونى إلى أن أخش نفسى.

— بل إلى أن تعيش إنسانا لا حيوانا.. أدعوك إلى أن تغلب ما ميزك به الله على الحيوان فانا أنت رفيع النظرة دقيق الحس

— والحقيقة؟

— تدركها وترتفع عنها.

— وعقلى؟

— تدرك به هذه الحقيقة وتسمو به وتصرفه إلى الأهداف السامية من الحياة

ارتج على الصديق فناجله أحد الجالسين

— لا تناقش فوالله ما قصد واحد منا إلى إقناعك.. إنها يا بنى نفسك وليس لنا معها حيلة... والله إن كنت قد اقتنعت فانك ستكابر. والجو على أسوأ أحواله ورؤوسنا مصدوعة.. فقم إلى جدك فليس لنا من الفراغ ما نضيعه معك أكثر من هذا.

سكت الأرضى على مضض وما لبث أن استأذن وقام.. قام لأول مرة مهزوما على غير اقتناع - يحمل فى صدره سخيمة المزعة ونحن نعلم ولكننا لم نملك أنفسنا أن نشفق عليه.

إنها نفوس إنسانة. ثروت أباظة

إدارة الكهرباء والغاز

لمدينة القاهرة

تعلن إدارة الكهرباء والغاز لمدينة القاهرة انها لاحظت إن بعض مشتركى الكهرباء يسمحون بإمداد التيار الكهربائى من عداد الكهرباء الخاص بهم إلى آخرين بوصلات غير قانونية. ولما كان هذا العمل مخالفة للبند الثامن من بوليصة الاشتراك ويعرض صاحبه لحرمانه من الانتفاع بالتيار الكهربائى.

لذلك فان الإدارة تحذر الجمهور من السماح بهذه التوصيلات ومن يخالف ذلك يعرض نفسه لقطع التيار وحرمانه من الانتفاع. ٣٢١١

الخطر اليهودي

بروتوكولات شيوخ صهيون العلماء

للأستاذ محمد خليفة التونسي

البروتوكول الثاني

يلزم لغرضنا ألا تعقب الحروب أي تغيرات إقليمية ، فبدون التعديلات الإقليمية ستتحول الحروب إلى سباق اقتصادي . ومن ثم تتبين الأمم تفوقنا في المساعدة التي سنقدمها واطراد الأمور هكذا سيضع الجانبين كليهما تحت رحمة وكلائنا الدوليين ذوي ملايين العيون الذين لهم على الإطلاق وسائل غير محدودة، وعندئذ ستكتسح حقوقنا الدولية كل قوانين العالم، وستحكم البلاد بالأسلوب ذاته الذي تحكم به الحكومات الفردية رعاياها .

إننا سنختار من بين العامة رؤساء للإدارات لهم ميول العبيد ولن يكونوا مدربين على فن الحكم ، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج في لعبتنا ، بأيدي مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة. وهؤلاء الرجال – كما هو معلوم لكم قبل – قد درسوا علم الحكم من خططنا السياسية ، ومن تجربة التاريخ ، ومن ملاحظة الأحداث الجارية . والأميون لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة بل يتبعون نسقاً نظرياً من غير تفكير فيما يمكن أن تكون نتائجه ، ومن أجل ذلك لسنا في حاجة إلى أن نرعى للأميين قدراً.

ودعوهم يمتعوا بأنفسهم حتى يأتي الوقت ؛ أودعوهم يعيشوا في أحلامهم بملاذ جديدة ، أو على ذكرياتهم للأفراح الماضية دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التي أوحينا بها إليهم لها القدر الأسمى من أجلهم ، وبتقييد أبصارهم إلى هذا الموضوع ، وبمساعدة صحافتنا – ننمي باطراد ثقتهم العمياء بهذه القوانين . وستختال الطبقات المتعلمة أمام أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافاً في مزاولة المعرفة التي حصلت من العلم الذي قدمه إليها وكلاؤنا بنية توجيه أذهانها في الاتجاه الذي نرتضيه .

لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . ولاحظوا هنا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد دبرناه من قبل . وسيكون واضحاً لنا على التأكيد الأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي . يتحتم علينا – كي نتجنب الأخطاء في سياستنا وعملنا الإداري – أن ندرس ونستحضر في الذهن هذا الخط الحالي من الرأي وهو أخلاق الأمم وميولها .

إن نجاح نظريتنا في موافقتها لأمزجة الأمم التي تتصل بها ، وهي لا يمكن أن تكون ناجحة إذا كانت ممارستها العملية غير مؤسسة على تجربة الماضي متصلة بملاحظات الحاضر .

والصحافة التي في أيدي الحكومات القائمة قوة عظيمة ، بها نحصل على توجيه عقول الناس ، فالصحافة تبين مطالب الجمهور الحيوية ، وتعلن المتألمين ، وتولد الضجر أحياناً في الغوغاء . وفي الصحافة تحقيق مولد حرية الكلام ، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة المناسبة ، فسقطت في أيدينا . ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً وإن ظللنا نحن من وراء الستار . وبفضل الصحافة كدسنا الذهب ، ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدم : فقد كلفنا مفاداته بكثير من بني جنسنا ولكن كل فدية من جانبنا تقوم بآلاف من الأميين عند الله .

تعقيب من المترجم

أما كارل ماركس فهو صاحب مذهب « المادية الثنائية » وتترجم أحياناً « المادية الجدلية » تجوزاً ، وخلاصة مذهبه أن المادة أزلية متحركة بذاتها منطوية على كل العناصر التي تخلق منها الحياة والعقل وما إليهما حسب الطبيعة الكامنة فيها ، ومن قوانينها اجتماع الأضداد وتنازعها حتى يغلب أحدها الآخر ، والمثالية باقية أبداً ، وكل صفة في الكيف تنشأ عن صفة في الكم . وهكذا نشأت الحياة والعقل وما إليهما من الأشياء التي تعد غير مادية في العرف ، ومؤدى ذلك أن لا شيء في الوجود إلا المادة ، فليس ثمت إله ولا أرواح غير المادة ، ومن ثم تبطل الديانات جميعاً . وهذه هي نهاية المذهب الذي أخرجه عقل ماركس اليهودي المتعصب ، ومن وراء ذلك الشيوعية التي أساسها إنكار الروحانيات وإنكار الامتيازات فلا فرق بين رجل ورجل ولا بين رجل وامرأة . ولا قيمة لشيء لا يقوم بالمال ، فلا قيمة للفنون ولا الفلسفات ونحوها ، ولا سعي إلى هدف غير سد حاجات الإنسان البدنية ، ولا حكم لشيء غير البدن وحاجاته الغليظة ...

وأما نيتشه فقد طبق مذهب التطور الداروني في

في الأيام الخـــوالي

بقلم الاستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

اشتهر الكاتب التشيكوسلوفاكي كارل كابك بكتاباته الاذعة وأسلوبه التهكمي وتحليله الدقيق في مختلف نواحي الحياة والمجتمع ، فضلا عن أنه كاتب قصص قدير وقد ظهر له أخيراً كتاب «قصص أبوكريفية» يحتوي على صور من الحياة وبعض الشخصيات التاريخية المشهورة في مختلف العصور : والقصة التالية إحدى هذه الصور .

كان يوباتر صانع السلال — وموطنه طيبة (الأغريقية) — جالساً في فناء داره يحيك سلاله ، عندما أقبل عليه جاره فيلاجاروس مهرولا صائحاً من بعيد :

« يوباتر . دع سلالك واسمع ! إن أشياء مروعة تحدث ! »

فسأله يوباتر وهو يهم بالوقوف «دار من التي أصابها الحريق؟»

فأجاب فيلاجاروس « إنه شيء أسوأ من الحريق . أتعرف ما الذي حدث ؟ إنهم يودون أن يقدموا جارنا نيكوماكوس إلى المحاكمة ! إن بعضهم يقول إنه متهم بالتآمر مع التساليين ، ويصرح البعض الآخر بأنه متداخل مع حزب الساخطين . هيا أسرع إننا مجتمعون في ساحة السوق !

فسأله يوباتر في ذهول « وماذا أفعل هناك ؟ »

فأجاب فيلاجاروس : «هذا شيء في غاية الأهمية . إن المكان زاخر بالخطباء . فمنهم من يقول إنه بريء ومنهم من يقول إنه مدان . تعال استمع إليهم .

قال يوباتر «تمهل لحظة حتى أنتهي من هذه السلة . خبرني ما هي حقيقة التهمة الموجهة إلى نيكوماكوس .

قال الجار « إنهم لا يعرفونها على وجه الدقة . فأحدهم يقول شيئاً والآخرون يقولون أشياء ؛ وأولو الشأن لا ينبسون ببنت شفة لأن التحقيق لم ينته بعد . بيد أن هناك أموراً تحدث في ساحة السوق ينبغي أن تراها ؛ فبعض الناس يصيح قائلا إن نيكوماكوس بريء .

— رويدك ! كيف يستطيعون القول بأنه بريء في حين أنهم لا يعرفون تمام المعرفة التهمة الموجهة إليه؟

— إن ذلك لا يهم . لقد سمع كل منهم شيئاً ؛ فهو لذلك يتحدث عنه . ألسنا جميعاً لنا حق التكلم ؟ أعتقد أن نيكوماكوس كان يحاول خيانتنا لدى التساليين . فقد أخبرنا أحدهم بذلك . قال إن أحد معارفه قد اطلع على رسالة . ولكن أحد الرجال قال إنها مؤامرة ضد نيكوماكوس ، وأنه يعرف عن ذلك الشيء الكثير . وهم يقولون أن الحكومة ضالعة في ذلك الأمر . أتسمع إلي يا يوباتر ؟ والسؤال هو ...

— تقاطعه صانع السلال قائلا : « تمهل لحظة . السؤال هو : هل القوانين التي شرعناها لأنفسنا قوانين عادلة أو ظالمة ؟ هل تحدث أحد عن ذلك في ساحة السوق » .

— « كلا . ولكن هنا ليس بيت القصيد ، إنما هو نيكوماكوس »

— «وهل قال أي واحد من الموجودين في ساحة السوق إن أولي الشأن الذين يحققون مع نيكوماكوس شريرون ظالمون ؟ »

— كلا لم يتفوهوا بكلمة واحدة من ذلك .

— إذن ما الذي قالوه ؟

— ماذا ! ألم أخبرك ؟! إنهم يتجادلون فيما إذا كان نيكوماكوس متهماً أو بريئاً .

— إلى اسمع لي يا فيلاجاروس . لو فرض أن زوجتك قد تشاجرت مع القصاب لأنها تدعي أنه لم يعطها رطلا كاملا من اللحم . فما الذي تفعله ؟ .

— أساعـــد زوجتي .

— كلا . كلا . إنك تذهب لترى إذا كانت الأوزان لدى القصاب صحيحة .

— إني أعرف ذلك بغير حاجة لأن تخبرني به أيها الرجل .

— عظيم . ثم إنك ترى إذا كان الميزان سليماً .

— لست أيضاً في حاجة لأن تخبرني بذلك يا يوباتر .

الأخلاق ونادى بمذهب القوة . فالتنازع سنة الحياة ، ولا يليق إلا القوي ؛ والأخلاق نوعان . أخلاق السادة كالشجاعة والخداع والقسوة ونحوها ؛ وأخلاق العبيد كالتسامح والشفقة والإحسان ونحوها . والإنسان القوي لا يتقيد بالقانون ولا بالأخلاق وكل هذا مما يرضي اليهود ومما يسيرون عليه في حياتهم إزاء غيرهم وهذا يتفق والسياسة التي رسمها هذه البروتوكولات .

وهذا الإيجاز المخل في توضيح مذهب هؤلاء وفي مصلحة اليهود من ترويج مذاهبهم — يشير إلى السر ولا يوضحه كل إيضاح . ولنا عودة إلى هذه الموضوعات مستقلة عن التعليقات على هذه البروتوكول إن شاء الله .

محمد خليفة التونسي

مرثيـــة طائر

للأستاذ محمد إبراهيم نجا

قصيدة رمزية في رثاء الصديق الكريم ، والشاعر العظيم الأستاذ علي محمود طه ، فقيد الشعر العربي .

طائر كان في ذرى الأغصان   يتغنى بأجمـــل الألحان
كان يحيا كما يشاء طليقا   وطروبا كما تشـــاء الأماني
سابحا في الفضاء حينا ، وحينا   ثاويا في خميـلة الفينان
كان ملء الوجود صوتا نديا   حافلا بالحنان والتحنان
عاش أيامـــه بإحساس فنا   ن ، وأحلام عاشق ولهان
طالما هـــز بالغناء قلوبا   عذبتهـــا الأيام بالأشجان
وسقاها الرحيق وهي ظماء   تشتكي من مرارة الحرمان
كان روحا مجنحا في سماء   تتحلى بأجمـــل الألوان
صاغه الله من ضياء وعطر   وصفاء ورقة وحنـــان
هام بالنور والظلال ، ولكن   لم يهم بالغيد كالثريان
كلما هـــزه الجمال تغنى   بأغان تهز قلب الزمان
كان قلبا كأنه همس ناي   عانقته ترنيمة من كمان
يرد فيه الجمال في كل شيء   وهو بالحب دائم الخفقان
أسكرته الحياة بالوهم حتى   ليرى الشيب ماثلا للعيان
يبصر النور والوجودُ ظلام !   ويحس الربيع قبل الأوان !
ويرى الروض في القفار ، ويشفيه   سراب من حرقة الظمآن !
خير ما في الحياة وهْمٌ جميل   في حياة المتيم الحيران

هكذا عاش ذلك الطائر الشا   دي ، يغني في غبطة وأمان
فهو أنس وسلوة وعزاء   في حياة المعذب الحيران
غير أن الزمان ، وهو بكاء   من غناء وفُرقة من تدان
أبصر الطائر العزيز يغني   في الأعالي بقلبه النشوان
فرمى قلبه بسهم رهيب   مستطار من قوسه الرنان !
فهوى مسبل الجناح ، يعاني   من جراح بقلبه ما يعاني
نهضت نحوه الطيور ، وناحت   إذ رأت جرحه عميق المكان !
وانحنت فوقه ، وطارت به تمـ   ـضي إلى عشه الجميل الحاني
ورأت جرحه يوحي هواها   والهوى بلسم الجريح العاني
ومضت حقبة ، فصار كما كا   ن تراه في سالف الأزمان
فاستفاض السرور في كل قلب   وتعـــالى الغناء في المهرجان
جللت عشه بزهر نديّ   أنبتته له روابي الجنـــان
ثم قالت له : ليهنك . رنم   بالأغاني في ظل تلك المغاني
ثم حلق في كل أفق جميل   يتلقاك بالسنا الفتـــان
هكذا قالت الطيور ، ولكن   رنَّ صوت الفناء في الوجدان !
رفـــع الطائر العزيز جناحا   فارتمى عاجزا عن الطيران !
قلَّبته فما رأت غير جسم   غادرته الحياة منذ ثوان !
لهفـــة وانطوت حياة تروّي   كل حي من نبعها الريان !
والذي لم يسعه كون رحيب   دفنوه في حفرة بمكان !
والذي عاش في الحياة طليقا   جعلوا قيده من الأكفان !

* * *

— أنا مسرور . وإذا كانت الأوزان والميزان سليمة ، فإنك سترى كم تزن قطعة اللحم ، وهنا سيظهر لك من هو الذي على حق : القصاب أم زوجتك . ومن العجيب يافيلاجاروس أن يكون الناس أكثر عقلا في مسألة خاصة بقطعة من اللحم مما لو كانت مسألة عامة . إن الميزان سيبين هل نيكوما كوس مذنب أو بريء . ولكن ، لاينبغي لهم أن يتفخروا في احدى كفتي الميزان لكي ترجح الأخرى . فلماذا اذن نصر على القول بأن أول الناس الذين يفحصون قضية نيكوما كوس أشخاص مشتبه في عدالتهم أو شيء هذا القبيل ؟ .

— لم يقل أحد ذلك يابوبار .

— لقد ظننت أنكم على الا تؤمنوا بهم . بيد أنه إذا لم يكن عندكم من الأسباب ما يجعلكم لا تؤمنون بهم ، فلماذا بحق السماء تنفخون لترجيح احدى الكفتين ؟ إما أنه لا يهمكم أن تبلغ ضوء الحقيقة ، وإما أنكم ترغبون في الانقسام إلى حزبين حتى تتجادلوا . ألا فليلعنكم الله . أني لا أعرف إذا كان نيكوما كوس مذنبا . ولكني أعرف أنكم جميعا مدانون لمحاولتكم التدخل في مجرى العدالة . عجب ما أرد أعواد السلال هذا العام . أنها تلين كالحرير ! ولكنها ليست ثابتة على الاطلاق .

— نحن يافيلاجاروس في حاجة إلى جو أكثر حرارة . بيد أن ذلك الأمر في أيدي الآلهة وليس في أيدينا .

محمد فتحي عبد الوهاب

أيهـــا الطائر العزيز وداعا   بل لقــــاء في عالم غير فان
يا رفيق الذي عرفت هواه   حين كان الشباب في الريعان
وبقلبي مقيتـــه صفو وردي   وبأمسي مـــا سقيت سقاني
أبعدتني عنك الحياة ، وكنا   نتلاقى في أكثر الأحيان
فتصبرت حين قلت لنفسي :   عن قريب يكون يوم التداني
وطواك الفناء ، فاليوم أطوى   ما بقلبي من أمنيات حسان !
ليت هذا الفناء لم يَدْعُ يوما   شخصك المقتدى ، وكان دعاني
ما له يؤثر البقـــاء لنفس   لا ترى في البقاء غير الهوان ؟!
والتي تؤثر البقـــاء تراها   غرضـــا للفناء في كل آن !
كم تعرضت للفناء بنفس   فـــداني كأنه ما رآني !
عبث هـــذه الحياة ، وفوضى   ما نراه في هذه الأكوان
ولو أن الحياة تنظم شعرا   جعلت شعرها بلا أوزان
ولو ان الحيـــاة ترسل نثرا   جعلت نثرها بغير معـــان
يارفيق تدرى بأن حياتي   ملأت بالدموع كل دناني !
يارفيق تدرى بأني غـــريب   بين قومي ! أجل ، وفي أوطاني
يارفيق تدرى بأني وحيـــد   في حياتي إلا من الأحزان !
فتشربت الأحزان من كأس أيا   مي بروحي ومهجتي وكياني
وألفت النواح دهرا ، فلو شئـ   ـتُ غناء ، ناحت بقلبي الأغاني
أنا أبـكيك يارفيق ، وأرثي الـ   ـشباب بكيته وبكاني !
أنا أبـكيك يارفيق ، وأبكي   من حياة بها الزمان رماني !
تنثر الشوك في طريقي ، وأزها   رُ الروابي تود لو تلقـــاني !
تملأ الكأس من دموعي ، وتسقيـ   ـني ، وكم قلت : ياحياتي كفاني !
شهـــد الله أن طيفك دان   إن يكن سار شخصه غير دان
شهد الله أن ذكراك أقوى   في حياة الورى من النسيان
وأمانيك تملأ الكون سحرا   بصـــداها النغم الرنان
حيث ترى الجفون في عالم الخلـ   ـد ، وتغرد في جنة الرضوان
ولعل الحياة تحمل سراحي   وعسى الموت أن يكون اصطفاني

ابراهيم محمد نجا

قلب يتعـــذب

للآنســة فدوى طوقان

« مهدية إلى صديقتي الشاعرة الرقيقة نازك الملائكة »

غاضت ينابيع المنى ياحزين   فمن يروّى فيك شوق السنين !
اذبل وجفّ اليوم في أضلعي   وارجع كما كنت ، حطاما دفين
تحت ثلوج الوحدة القاسيه   نبكي معـــا آمالنا الثاويه
نبكي ضياع القمم الوانيه   في عالم ما فيه روح أمين

* * *

أين الذي نادى ومدّ اليدين   وقلبه الثائر على الراحتين ..
ملوحا بالأمـــل المشتهى   كيف مضى ؟ فيم توارى ؟ وأين ؟!
راح ، كأن لم يحي فينا نداه   بعد خمود الموت روح الحياه
أهكذا حين أحببنا هـــواه   يردنا للموت في لحظتين ؟!

* * *

مالك ؟ ما بالك واهي الوجيب   تراك في كف النزاع الرهيب ؟
لا ، لا تخف ، فالموت أحنى يداً   مت يا صريع القدر مت يا كئيب
ارتعك الجاني على مهد   من زهر الآمال ممتدّ
لم تدر أن الجمر في الورد   والسم في نفح العبير الرطيب !

* * *

همت به نجما خلوب الضياء   فطرت بي نشوان نحو السماء
مستغرقا في سبحات الهوى   تبني من الوهم قصور الهواء
يا قلب يا مسكين يا ابن الخيال   أين القصور الفاتنات الظلال
ما شدته تحت الليالي الطوال   مضى مع الريح ، وولى هباء ..

* * *

لم تدر أن النجم غـــدّارُ   لم تدر أن الضوء غرّارُ
يا عجبا حتى نجوم السما   يطلقها وحلٌ وأكدار !
يكفيك ياقلبي ويكفيني   ولتصح من حلم المجانين
فهو كباقي الناس من طين   لا نور فيه ، لا ولا نارُ

فدوى طوقان

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

هل تقدمنا في الميدان الاجتماعي ؟

جرت يوم السبت الماضي مناظرة في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية موضوعها : « لقد تقدمنا تقدماً مرضياً في الميدان الاجتماعي » أيد الرأي رجلان هما الدكتور محمد عوض محمد بك والدكتور محمد صلاح الدين بك ، وعارضه سيدتان هما السيدة زاهية مرزوق والسيدة أمي فهمي . وقد بدأ الكلام الدكتور عوض فقال إن وجود هاتين السيدتين الفاضلتين بهذا المكان الآن في هذه المناظرة دليل على التقدم الاجتماعي الذي نؤيده ، فهما بنشاطهما المعروف تدلان على تقدم المرأة المصرية .

وألقت السيدة زاهية مرزوق كلمة طيبة تضمنت نظرات فاحصة في أحوال المجتمع المصري وأيدت آراءها بالإحصاء ونتيجة البحوث العلمية الاجتماعية ، وقد تعرضت لعدة نواح مهملة في مجتمعنا كالأمومة والطفولة ومستوى المعيشة وانحطاط المساكن في الريف ومما قالته أن للمطاعم الشعبية التي تقام في المدن تنشيء جيوشاً من الشحاذين ، فما هي إلا صورة أخرى من الشحاذة إلى جانب توزيع الخبز والفول النابت أمام المساجد والأضرحة ، وهذه المطاعم تلجأ إليها الأمم في حالات الضرورة للمنكوبين واللاجئين في أيام الحروب ، ولكنا في مصر اتخذناها نظاماً دائماً ، فبدلا من أن نساعد الناس ونمهد لهم كي يحصلوا أرزاقهم بعملهم نهدر كرامتهم بهذه الصورة التي لا تتفق والآدمية الكريمة . وقالت السيدة زاهية إن مما زاد مستوى المعيشة انحطاطاً الغلاء الذي كاد يذهب بالطبقة المتوسطة التي هي ميزان المجتمع وأصبحنا مهددين بانعدام هذه الطبقة بحيث تكون البلاد طبقتين طبقة عليا وطبقة سفلى ، ولا شك أن إهمال طبقات الشعب يغرس في النفوس الشعور بالظلم ، فتنعدم روح التضامن ، وهذا يؤدي إلى التفكك الاجتماعي .

ووقف الدكتور صلاح الدين فقال إنه يشعر بالحرج إزاء هذا البحث القيم الذي سمعه من السيدة زاهية ، ولكنه مضى في تأييد الموضوع فذكر أننا حقيقة لم نبلغ أوج التقدم ولكننا تقدمنا تقدماً مرضياً في ربع القرن الماضي ، ودلل على ذلك بالمقارنة بيننا وبين بعض الأمم المتأخرة ! وبأن ممثلي مصر في حلقة الدراسات الاجتماعية التي عقدت بلبنان تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة كانوا متفوقين بعددهم وبحوثهم وكانوا لا يقلون في مستواهم الدولي عن مندوبي أوربا وأمريكا ، وقال إن مصر تقدمت هذا التقدم رغم انشغالها بالنضال السياسي .

وقد ردت عليه السيدة أمي فهمي ، ومما قالته أن التناحر الحزبي والخصومات السياسية شغلت القادة والرؤساء عن الإصلاح الاجتماعي ، وكان من الممكن لولا ذلك أن تنهض الأمة نهوضاً اجتماعياً كبيراً في هذه الفترة ، واستدلت بما أحدثه محمد علي من الأثر في حياة الأمة المصرية في وقت قصير ، وبنهضة تركيا الحديثة في زمن قليل .

والواقع أن حجج المؤيدين لم تستطع أن تقف أمام الحقائق الصارخة ، ولا أشك في أن ذلك يرجع إلى ضعف جانبهما لا إلى عدم احتفالهما وإعدادهما وإن كان ذلك ملحوظاً أيضاً .. وقد طغت السيدة زاهية مرزوق على الجميع وكسبت الموقف حتى إنه عندما أخذ رأي الحاضرين لم يشذ عن القول بتأخرنا الاجتماعي سوى بضعة أفراد . وقد كانت هي — على خلاف ما قال عوض بك — دليلا على الهوة الواسعة بين عدد قليل من النساء النابغات وبين سائر النساء الجاهلات .. وقل مثل ذلك في علماء حلقة الدراسات ، فليس وجود طبقة من المثقفين لدينا تماثل علماء الأمم الكبيرة يستلزم تقدمنا في الناحية الاجتماعية .

الأجسام العارية والفن الهزيل :

استفاضت الشكوى أخيراً من نشر الصور العارية في الصحف وإسراف السينما في عرض أجسام الممثلات والراقصات والمواقف الحيوانية بين الذكر والأنثى . وأرسل صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي إلى رفعة رئيس الوزراء في شأن الصور الخليعة التي تنشرها بعض الجرائد والمجلات . فكان ذلك مثار اهتمام الحكومة بالأمر ، وكتب رئيس الوزراء إلى الأمير الجليل بأنه معني بدرس أوجه العلاج الحاسم لهذا المرض .

أما الناحية الخلقية في هذا الموضوع فهي ظاهرة . والذي أقصد إليه هو أن ذلك العمل إنما يراد به ستر العجز الفني واتخاذ تلك المثيرات أداة للترويج والربح المادي ، فالمجلات التي جعلت من صفحاتها معارض للإثارة الجنسية إنما تلجأ إلى ذلك لأن أصحابها ليسوا من ذوي الرسالات الصحفية والقلمية ، وبدلا من أن

يتعبوا أنفسهم في التماس القوة التعبيرية والمادة الصحفية القويمة ، يقدمون تلك الصور ، وصارت الحالة إلى حد التنافس في ذلك ، فاذا ظهرت مجلة بصورة بالغة في الإثارة حرصت الثانية على نشر صورة (أباح) منها !

ولا شك أن الحكومة إذا منعت هذه البضاعة فان أولئك الصحفيين يضطرون إلى كسب القارئ عن طريق الفن الصحفي المستقيم ، فإذا أخفقوا في ذلك طهرت منهم الصحافة وأفسحوا للعناصر الصالحة النافعة .

وكذلك الحال في الأفلام السينمائية ، فإن القائمين بها يوجهون همهم إلى جذب الجمهور بتلك الوسائل بدلا من أن يقدموا قصصاً ذات موضوعات قيمة ، وقد أسرفوا في ذلك أخيراً إسرافا طغى على الناحية الفنية ، فأصبح الفلم الناجح عندهم هو الذي يحتوي على تلك الإثارات دون اعتبار للقيم الانسانية والاجتماعية التي تهدف اليها الفنون .

وإن واجب الدولة أن تحمي الفن الصحيح والذوق السليم من ذلك الانحدار البهيمي ، وأعتقد أن الرقابة الحكومية لا تخدم الأخلاق ، بل هي أيضا بذلك تعمل على ترقية الفن السينمائي وتصفية جوه من الدخلاء الذين لا يفهمونه إلا على هذا الوضع المزري . وهنا كما في الصحافة تطهير من أشباه القوادين وإفساح لذوي الكفايات الفنية ، وعندئذ يكون التنافس في الإجادة الصحيحة وتقديم الانتاج الجيد في ذاته .

فلم الأسبوع :

« التخت » في هذه المرة بسينما استديو مصر ، وهو يتكون من فريد الأطرش وسامية جمال واسماعيل يس ولولا صدقي وآخرين ، فالأول مغن والثانية رقاصة والثالث مضحك والرابعة على الهامش الخ .

ولا بد من قصة تظهر فيها هذه «الكفايات» وقد جاءت القصة على وفق المراد . كنا نرى الأبطال في الأفلام الأخرى تخرج من المجتمع ، لأسباب مختلفة ، إلى المسارح والمراقص حيث تهيأ الفرصة لإظهار الرقاصة والمغني . أما هنا في فلم « عفريته هانم » فتبدأ القصة على المسرح مباشرة ، فالرقاصة علية (لولا صدقي) هي ابنة صاحب المسرح الاستعراضي الذي يعمل فيه المغني عصفور (فريد الأطرش) . وعلى صاحب المسرح على ابنته علية أن تغرى الشاب الغني (ميمي بك) وتصيده زوجا لها ، وتقوم بهذا الإغراء ويقع ميمي بك في شباكها فيخطبها الى أبيها ويدفع إليه ثلاثة آلاف جنيه

كشكول الأسبوع

□ تكونت لجنة لتأبين المغفور له الأستاذ علي محمود طه ، من علي أيوب بك وفكري أباظة بك والأستاذ أحمد حسن الزيات والأستاذ أحمد الصاوي محمد وآخرين . وسيعلن موعد التأبين ومكانه فيما بعد

□ رأيت في أول الكلمة التي وجهها الأستاذ الأبياري إلى الدكتور الأهواني بالعدد الماضي ، قوله : « فما الإعراب على بابي ولا من زادي . وغيرك ناسياً ذكرت ، فإنا وإياك أهل مائة يارت من العربية ، ما أكثر دقائقه وأدق خفاياته » ولما قرأت الكلمة كلها و « تفحصت » لم أجدها على « مائة » بعداول الجملة الأولى ، نفي بنى الإعراب عن بابه وزاده ، والكلام كله إعراب . ولما لم تكن « بائنة » بيني وبين الأستاذ الإبياري لأنس الزمالة في وزارة المعارف فقد حدثته في ذلك ، فما راعني إلا أن زاد عليه أنه كتب «مقامات» سيقدمها في القريب للنشر في « الرسالة » وقد أعذر من أنذر ...

□ طلبت وزارة المعارف من وزارة المالية الموافقة على تخصيص ١٨٠ جنيهاً لمكافأة للمفتشين العامين الذين سيقومون بالتفتيش في المدارس المصرية بالسودان لقاء محاضرات ثقافية يلقونها هناك ، ويأخذ كل منهم خمسة جنيهات عن كل محاضرة . هذا وقد كان كاتب هذه السطور بالسودان سنة ١٩٤٣ حين أوفدت الوزارة بعض هؤلاء المفتشين لذلك الغرض ، فلم تكن محاضرات بعضهم بذات غناء ، ووصفتها الصحف هناك بأنها معلومات مدرسية . وأذكر هنا منبها على ضرورة حسن الاختيار .

وصل إلى القاهرة الشاعر العراقي الكبير السيد رضا الشبيبي عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية للاشتراك في مؤتمر المجمع . وسيلقى كلمة في افتتاح المؤتمر . وقد ضم الأستاذ إلى أعضاء المجمع في العام الماضي ، وكان له نشاط كبير في الدورة الماضية ، إذا ألقى بحثا قيما عن الحركة الأدبية في العراق ، واشتملت مضابط الجلسات على آرائه السديدة في مناقشة الموضوعات الأدبية واللغوية .

□ لوحظ أن منهج التعليم الديني الذي قرر للمدارس الابتدائية مشحون بالنصوص التي يطلب من صغار الناشئة حفظها وإدراك مراميها الصعبة . والأولى من ذلك أن يوجه أكثر الاهتمام إلى الناحية التهذيبية عن طريق ميسر مشوق .

□ من أنباء هيئة اليونسكو أن لجنة الخبراء بها وافقت على اقتراح خاص بإعادة النظر في المواد التاريخية لاستبعاد كل ما شأنه الاضرار بمصالح البلاد الأخرى وإثارة الشقاق بين الأمم

□ تبين لادارة اليونسكو بباريس أن مدير مستخدميها اليهودي كان يحول دون أي شيء يمكن تقديمه إلى مصر ، كما نسب اليه أشياء أخرى ، فتقرر وقفه عن العمل والتحقيق معه .

□ دعيت مصر وغيرها من بلاد الشرق الأوسط إلى الاشتراك في مؤتمر الطلبة الذي يقام بنيويورك في أوائل مارس القادم . وقد وافقت وزارة المعارف على إيفاد طالب وطالبة من المعاهد العليا ليكونا مندوبين عن الطلبة المصريين في هذا المؤتمر ، وستكون نفقات هذه الرحلة على طلبة الولايات المتحدة .

□ توقفت إذاعة الأغنية الجديدة « رق الحبيب » فالكائنات مناد » التي سجلتها الاذاعة المصرية لأم كلثوم من شهر شوال ، وذلك لأن أم كلثوم غير راضية عن أدائها الصوتي فيها . وليس صحيحا ما يقال من أنها منعت لتضمنها مدح الاشتراكية . وسيعاد تسجيل هذه الأغنية .

مهراً لها . ويظهر في خلال ذلك أن عصفور يحب علية ويرى علاقتها بميمي بك ولكنه لا ييأس إذ يعتقد واهماً أنه تبادله الحب فيتقدم لخطبتها فيسخر منه أبوها ويطلب منه أن يمهرها ثلاثة آلاف جنيه .

ولكن السيد عصفور مفلس طروب . فماذا يصنع ؟ لجأ إلى حديقة يغني بها ، وإذا شيخ عجوز يظهر له ويدور بينهما حديث عن القسمة والنصيب ، ثم يختفي بعد أن يتفق معه على مقابلته في غار بجبل المقطم ، ويذهب عصفور ومعه صديقه (بقو (اسماعيل يس) إلى الغار ، ويظهر الشيخ في الغار فيدفع إلى عصفور مصباحاً ، ويتلاشى الشيخ ، ويقلب عصفور المصباح فتخرج منه العفريتة الحسناء كهرمانة (سامية جمال) وتقول له إنها تحبه منذ ألف سنة !

وتصنع كهرمانة أعاجيب ، منها أن توجد في الحال قصراً لعصفور وصديقه بقو ، وتمدهما بالمال فيشتريان المسرح المقابل للمسرح الذي كانا يعملان به ، وينافسان صاحبه ، وتحضر رقاصة تشبه تماماً ليغني لها عصفور وهي ترقص ، واسم هذه سمسم (سامية جمال أيضاً) وفي أثناء ذلك تنازل كهرمانة عصفور وهو ينازل سمسم . ويتضايق أبو علية من هذه المنافسة وقد تحول الناس من مسرحه إلى المسرح الجديد ، فيبعث بابنته إلى عصفور لتحاول مصالحته وإقراره ، فتأتي إليه وهو لا يزال يحبها فيرحب بها ، ويأتي معها أبوها بعد ذلك ويتودد إليه ، ثم تعلن خطبة عصفور لعلية ، فتغضب سمسم وكهرمانة ، وتعمل الثانية بأساليبها الخارقة على إفساد هذه الخطبة ومنع الزواج ، فيغضب منها عصفور ويذهب إلى المصباح فيلق به ، فيأخذه الشيخ العجوز ويضيع علية فيه ... ويذهب القصر ويعود كل شيء إلى ما كان عليه .

ويغني عصفور ، ويظهر له الشيخ فيقول له إنه ضيع الفرصة التي لا يمكن أن تتكرر ومع ذلك يستطيع أن يسعد بسمسم . ويستأنف عصفور عمله على مسرحه ، فيعد (أوبريت) وتظهر فيها سمسم وقد عادت إليه بعد أن هجرته غاضبة . وبعد انتهاء (الأوبريت) يظهر ان سعيدين في الختام .

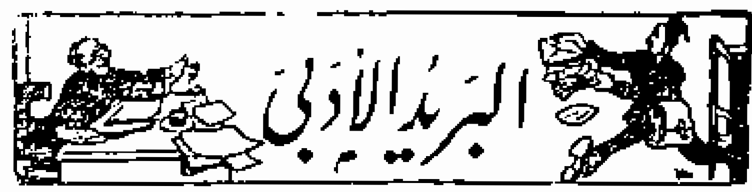
ويقال إن القصة (وضعها أبو السعود الأبياري) تعرض لمسألة القسمة والنصيب وجزاء من لم يرض بما قسم له . وهذا كلام فارغ ، لأن هذه مسألة قديمة مبتذلة ، على أن تطبيقها في الفلم لا هدف له ، فعصفور يحب علية ، وكل ما يريد أن يظفر بها فكيف يؤخذ عليه سعيه لنيل أمنيته ورفضه قسمة العفاريت ؟ ثم إن صرفه عن حب علية ليس طبيعياً وإنما هو مفتعل إذ نصحه الشيخ بحب سمسم .. ومتى كان الحب بالنصيحة ؟ وليس في القصة أي مغزى اجتماعي ، بل هي بعيدة عن المجتمع العام لحوادثها تجري في بيئة (الأرتستات) تربط بينها تلك الروابط الخرافية التي لا غاية لها سوى عرض الغناء والرقص .

والمجهود القيم (نسبياً) في هذا الفلم للمخرج (بركات) وهو الذي أجرى تقطيع القصة (السيناريو) فقد قام بعمله في الحدود المرسومة ، ومما أجاد إخراجه المنظر الذي ظهرت فيه علية وهي تحدث ميمي بك بالتليفون ويحدثها عصفور من وراء ستار إذ قالت له إنها تبدل ثيابها ، فيجيء حديثها رداً على كليهما في آن ، وأريد أن أسأل بعد ذلك : لماذا بدا القصر خالياً من الأثاث ؟ وكيف عجزت العفريتة عن تأثيثه وهي التي أوجدته في طرفة عين .. ؟ وكيف وجد هذا القصر في القاهرة فجأة وذهب فجأة على أعين الناس ؟ !

وقد شاهدنا عصفوراً حين أزمع الذهاب إلى صاحب المسرح ليخطب علية ، مع أصحابه في سيارة قديمة يقودها ، وهم يخترقون الشوارع في منظر غاية في التهريج السخيف ، هو يغني وهم يتراقصون منظرفين ، وهذا إنما هو أليق بالنسوة اللاتي يركبن عربة (كارو) وينشدن (سلمى يا سلامة !) ومن أين لعصفور هذه السيارة (اللاكي) وهو يعمل بقروش في المسرح مهما كانت قديمة ؟

وترى كهرمانة تعرض على عصفور أن ترقص أمامه على مسرحه الجديد ، فيقول لها إن الناس يرون رقصها لأنه هو وحده الذي يراها ، فتأتي له بسمسم ، وكهرمانة تعرف أن الناس لا يرونها فكيف كانت تريد أن ترقص على المسرح ؟

نخلص بعد ذلك إلى المقصود من هذا الفلم « الاستعراضي » هو الرقص والغناء ، قيل إن علية رقاصة مع أنها لم ترقص أبداً بل ظهرت على المسرح مع عصفور يغني لها وهي إلى صدره يتحسسها وتميل عليه فقط ! أما سامية جمال فقد رقصت ورقصت ويعتمد رقصها على رشاقة جسمها وإظهار مفاتنه ، وليس وراء ذلك فن من تعبير .



وفاة الأستاذ محمود حسن زناتي

قُبض إلى رحمة الله صديقنا المغفور له الأستاذ محمود حسن زناتي في صباح يوم الأربعاء الماضي في (ناي) من قرى القليوبية، وكان أخواله آل عطية قد نقلوه من القاهرة إلى ديارهم حين تبلغت به العلة واحتاج إلى رعاية الأهل وعناية القربى.

أصيب هذا الرجل الفاضل بالفالج النصفي منذ ثلاث سنوات فانقطع عن الناس وانقطع الناس عنه وكان بطبعه ألوفاً ودوداً يحب الخلطة، ويعشق الحديث، ويسأل عن صاحبه إذا غاب، ويزوره إذا حضر. وكان أشق عليه من مرضه أن يعتزل عن العالم في مسكن نائي القرار موحش الجوانب يظل فيه النهار، ويبيت به الليل، قلق الوساد موجوع البدن لا ينعم فيه بحنان الولد ولا عطف القريب، ولا يطرقه عليه إلا جار كريم أو صديق قديم.

درس زناتي في الأزهر، وتلمذ على أستاذنا العالم الناقد سيدين علي المرصفي، وعلى شيخنا اللغوي الحجة محمد محمود الشنقيطي

أما فريد الأطرش فقد أمطر الفلم غناء. غناؤه كرقص سامية لا تمييز في كليهما، والأوبريت التي قدمها كانها تطريب فهو يغني ليغني ولا شيء وراء ذلك، فكل مواقفه «فواصل» غناء ليس إلا، وفن الأوبريت مظلوم! وهو يغني في موقف الحزن كما يغني في الفرح، ووجهه جامد في التمثيل أيضاً، وإن كان لا بأس به فيما عدا قصور وجهه في التعبير، وكان دوره ملائماً لشخصيته الهادئة، فلم يستنزه منظر حبيبته في أحضان غريمه، واكتفى بأن راح يعتمد خطبتها!

أما اسماعيل يس فقد أصبح دوره في الأفلام المختلفة أن يكون صديقاً للبطل بقصد التضحيك. وهو ظريف الشخصية أينا وضع، غير أن حظه من ذلك قليل في هذا الفلم.

عباس خضر

وكان أثيراً لدى الرجلين، يزورهما في البيت، ويلزمهما في الجامع، ويصحبهما في الطريق ويروي عنهما الأشعار والأخبار والطرف. ثم عين مصححاً في المطبعة الأميرية فقضى بها ردحاً من الزمن حتى انتقل القسم الأدبي منها إلى مطبعة دار الكتب فانتقل معه. ثم اختاره المرحوم أحمد زكي باشا ليكون أميناً للمكتبة الزكية التي وقفها وجعل النظر فيها لوزارة الأوقاف، وكانت يومئذ بقية السلطان الغوري. فلما فصلت عن وزارة الأوقاف ووصلت بدار الكتب انتقل موظفاً بديوان الوزارة؛ ولكن العمل الجديد لم يرضه لا بيئته ولا بطبيعته فطلب الإحالة على المعاش فأحيل. ومنذ يومئذ تفرغ للأدب فأخذ يزجي فراغه: نظم الشعر واقتناء المخطوطات ونشر الكتب. فمن الكتب التي نقحها وعلق عليها ونشرها، مختارات ابن الشجري والمفضليات للضبي، ثم الجزء الأول من الفصول والغايات للمعري. ثم انتهى أمره إلى هذه العلة الفادحة فكابد من وصبها ما كابد حتى اختار الله له ما عنده. تغمده الله برضوانه ورحمته، وأنزله منزلة الأوفياء من فسيح جنته.

في ذمة الله يا زناتي:

أيها الراحل الكريم سلاما … آه لو كنت تستطيع الكلاما
سكت الصوت سكتة، ودفنا … في التراب النشيد والإلهاما
أيها الناطق المحدث ماذا … أسكت اليوم هذه الأنغاما؟
رحم الله في الندى حديثا … كان يطوي الزمان والأياما!
كنت ترويه كالزلال غزيراً … ونساقيه كاللهيب ضراما
وتقص الزمان جيلا فجيلا … وتعيد التاريخ عاما فعاما
كنت في ندوة البيان طرازا … يأسر الفاهمين والأفهاما
حطمتك الأيام حتى رأينا … رجلا صار في الحياة حطاما
قم تر الأرض لم تبدل قليلا … من رحاها، ولم تغير نظاما
فالليالي – كما عهدت – الليالي … والندامى كما عرفت – الندامى
من يغنه الحمام في هدأة الليـ … ـل فإن صبحه سيلقى الحماما
أجل دائر علينا، وكأس … سوف نسقى بها ونروي الأواما!
أيها الراحل الذي لم يودع … ما ملكنا في البين إلا السلاما

محمد عبد الغني حسن

وتذهب الجدب ». وهذا وجه آخر المسألة يؤول تنفيس الكرب بما تسوقه الرياح من خير، لا بما يشعر به المرء من داخل فتنقلوا الظاهر إلى الباطن، وهذا أليق

قلتَ: وقولهم « شيء نفيس » أرادوا أنه ذو نفس، بالتحريك

قلتُ: وهذا معنى طريف لست أدري أوقع القدماء عليه أم لا؟ وقد وقفت عنده، وتساءلت أكل متنفس نفيس؟ وفي الصحراء أحياء من نبات وحيوان ينفر العرب منها ويحط من شأنها لقلة نفعها أو مظنة ضررها. وما بالك بالثعبان الذي ينفث السم، أهو شيء نفيس؟ ولعلك زاعم أن النفث بالثاء من النفس بالسين، فهما معانٍ متقاربة كنفثات الشاعر، والنفاثات في العقد من السحر. أو قائل إن النفش بالشين من ذلك أيضاً، من التفريق والانتشار. قال الحكيم الترمذي في كتاب الرياضة « والنفس مسكنها في الرئة، ثم هي منتشة في جميع الجسد ».

قلتُ: الثاء والسين والشين متقاربة، والحروف أصل الألفاظ والأصوات محاكاة للطبيعة أو تعبير عن المشاعر الباطنة. ترى أيكون سر المعنى في النون أو الفاء أو السين؟ أهو في حرف واحد أو في حرفين أو في ثلاثة؟ ولقد زعم قوم أن اللغة العربية ثنائية، ولعلهم على صواب. ثنائية أو ثلاثية فحرف السين جوهري في هذه اللفظة، وإنا لنجده في لغات كثيرة. وليس ذلك من قبيل الاتفاق: في اليونانية بسيشي Psuche، ومنها في اللغات الحديثة البسيكولوجيا أو علم النفس. وفي الإنجليزية سول Sul، وفي الفرنسية أسبري Esprit والأصل في هذا الصوت وهو السين ما يسمعه المرء من صوت الهواء إذا كان نسيما، فإذا اشتد أصبح صرصرا والصاد تشديد السين، وقد يكون الصوت حاء ومنه الرياح والريح، ولذلك قالوا فحيح الأفاعي.

قلت: ثم جاءت النفس بالإسكان في شتى معانيها. وإخال أسبقها الروح، وهل هي إلا أنفاس؟

قلت: هذا مذهب في التوحيد بين النفس والروح. والتحقيق غير ذلك. النفس مؤنث إن أريد بها الروح، ومذكر إن أريد بها الشخص. تقول خرجت نفسه أي روحه، وعندي ثلاثة أنفس فأنثت العدد لأنه عكس المعدود.

قال أبو عبد الله الحكيم الترمذي من صوفية القرن الثالث: «الروح نور فيه روح الحياة، والنفس ريح كدرة جنسها أرضية» فرق بين الروح والنفس، وبين الروح والريح. وقول الجنيد الذي ذكرت من أن النفس من مستأثر الله تعالى » يريد الروح لا النفس قال ابن الفارض في تائيته.

وإني وإياها لذاتٌ ومن وشى ... بها وثنى عنها صفات تبدت
فذا مظهر للروح هاد لأفقها ... شهوداً بدا في صيغة معنوية
وذا مظهر للنفس حادٍ لرفقها ... وجوداً غدا في صيغة صورية

قال ابن القيار: والذي يرجح ويقرب هو أن الإنسان له نفسان نفس حيوانية ونفس روحانية. فالنفس الحيوانية لا تفارقه إلا بالموت. والنفس الروحانية التي هي من أمر الله فبها يفهم ويعقل فيتوجه لها الخطاب، وهي التي تفارق الإنسان عند النوم، وإليها الإشارة بقوله تعالى: يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها.

والدليل على أن الذي من مستأثر الله تعالى هو الروح قوله عز وجل (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) لأن الروح من الغيب لا تدركها العقول وتعجز عن معرفتها الأفهام.

وبعد فقد طال بنا النفس في الاستطراد، وكنت أطمع في جواب الأديب عن معنى نفس الأديب، لأن هذه صناعتك، فصدفت عن الجواب، ورددت السؤال بسؤال، وعدلت عن الأدب إلى الحكمة واللغة تفاسا، ولك نُفسة إلى أمد، فلعلك لا تنفس بالجواب.

أحمد فؤاد الأهواني

أخي الأبياري

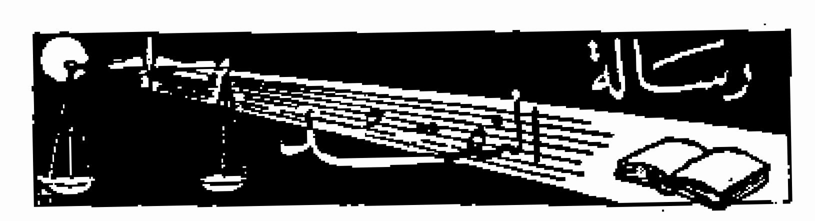
لك أنفس تحية وعليك أروح سلام.

زعمتَ أني دفعتك إلى حديث شائك، وما رغبت فيه إلا لأنه حبيب شائق. ولبست أثواب العلماء تواضعا، ثم بان علمك وفاض فضلك، فإذا بك تسأل سؤال العارف. أومأت إلى مذهب المعلم الأول في أنفسه النامية والحساسة والناطقة، وأشرت إلى المتكلمين في قولهم بالامتزاج كالماء بالعود، وأخذت عن بعض الفلاسفة حكايتهم عن النفس المدبرة للأبدان المحركة للجسوم، وحكيت قول الجنيد من الصوفية أنها من مستأثر الله تعالى.

ثم استقصيت قول أصحاب اللغة ووقفت بباب ابن فارس إن النفس من النفس « أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أو غيرها ».

قلت: « وقول القائل » نفس الله كربته « من ذلك لأن خروج النسيم روح وراحة ».

قلتُ: هذا عند من يوحدون بين النفس والروح، ويجعلون النفس من الريح. وقالوا: « ومعنى لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن، أنها تفرج الكرب، وتنشر الغيث



نهضة العراق الأدبية
في القرن التاسع عشر
للأستاذ ابراهيم الوائلي

شهد العراق فى القرن التاسع عشر نهضة أدبية كبرى كان لها الصدى المدوى فى وادى الرافدين ، وكان لها الأثر الفعال فى انبعاث الشعر المعاصر فى العراق . وهذا القرن — بما فيه تبلبل سياسى والتواء فى الحكم ، وبما فيه من ظلم واستبداد — كان نشيطا فى حركته العلمية والأدبية . وكان أكثر نشاطاً فى الناحية الشعرية . ففى بغداد والحلة والنجف والموصل كانت الحركة العلمية فى نهاية المعركة مع الأحداث والخطوب التى كانت تحارب العقول والأذهان والمواهب ؛ لأن الأولى كانت تستمد قوتها من تاريخ حافل بالأمجاد والروائع ؛ ولأن الثانية كانت تطل من دنيا الجهل والجبروت تحارب هذه الأمجاد بقوة وعنف . وانتصرت الحركة العلمية فى العراق بفضل أبنائه الساهرين على تاريخهم وأمجادهم ، فقد كانت فى القرن التاسع عشر — ولا تزال — بيوتات أثيرة المكانة متينة الجانب تجمع بين النفوذ السياسى والدينى ، وكان فيها إلى جانب ذلك من يعشق الأدب ويمارس الشعر . وقد مدت هذه البيوت على الشعر والأدب عده بالرعاية وتبذل له من التشجيع ما وسعها ذلك . ومن هذه البيوت : الشاوى والنقيب وكبة فى بغداد ، والقزوينى فى الحلة ، وكاشف الغطاء والجواهرى وبحر العلوم فى النجف ، والعمرى فى الموصل . وتحت رعاية هذه البيوت استظل الشعر بجناح وريف الظل ونبغ كثير من الشعراء الأفذاذ الذين لا يقلون فى التعبير والمعانى والأخيلة عن شعراء العصر العباسى الأخير . ومن هؤلاء : الحليان السيد حيدر والسيد جعفر ، والموصليان عبد الغفار الأخرس وعبد الباقى العمرى ، والنجفيون السيد محمد سعيد الحبوبى والسيد ابراهيم الطباطبائى والشيخ عباس والشيخ جعفر الشرقى والشيخ جواد الشبيبى وغيرهم . وقد ترك معظم هؤلاء الشعراء دواوين مطبوعة وآثاراً مخطوطة يتدارسها أدباء العراق ويعنون بها لأنها الينبوع الذى تدفق من بين الرمال والصخور بعد فترة طويلة فسقى وأنبت وأمد نهضتنا الحديثة بذخيرة قوية وافرة .

ومن المعنيين بهؤلاء الشعراء الشاعر المعروف الدكتور محمد مهدى البصير استاذ الأدب العربى بدار المعلمين ببغداد فقد أصدر عنهم كتابا سماه : (نهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر) تحدث فيه عن ثمانية وعشرين شاعراً بين شهير أضاف إلى حياته صفحة جديدة ، وبين مغمور كشف عن حياته وشعره . وهذا الكتاب هو مجموعة أحاديث أذاعها أديبنا الكبير من دار الإذاعة العراقية ثم شاء له حرصه الأدبى والتأريخى أن يجمعها فى كتاب منشور .

هؤلاء الشعراء — كما يقول الدكتور فى المقدمة — : « ليسوا كل من أنجب العراق من قالة القريض فى القرن المنصرم ولا أكثرهم ، ولا كل من أعرف منهم ، ولكنهم صفوة من أعرف وخيرة من وصلنى علمه منهم » أما دراسته لهؤلاء فليست من الدراسات التى تعتمد على الترجمة والرواية فحسب ، بل هى مزيج من هذا ومن غيره . ولعل اللون الذى يطغى على هذه الدراسة هو اللون التحليلى الذى يعتمد فيه على أثر الشاعر ويستقى من شعره ، ولذلك فإن للدكتور البصير آراء استخلصها من شعر هؤلاء قد لا يقره عليها عشاق التراجم ، كما أن له آراء قد لا يوافقه عليها نقاد الأدب ، وتراه فى بعض الشعراء يبدو واضح الرأى والفكرة ، وفى بعضهم يظهر مترددا متهيبا من الإفصاح والجهر ، والسبب فى ذلك يعود إلى أن الذين تحدث عنهم لم يكونوا جميعاً ممن انقطعت صلتهم بالأحياء . بل إن معظمهم ترك وراءه اسرة وأحفادا يحاسبون الأديب والناقد الحر ، وأن معظمهم قد جمع بين الشعر والعلم ، وبينهما وبين التقشف والزهد ، فكان من البديهى أن يقع الدكتور فى مأزق من جلاء الدراسة ووضوح الرأى فلم تسلم دراسته من بعض الغموض ، ولم يسلم رأيه من الترجح والتردد فى بعض المواطن ، وسنشير إلى ذلك وغيره .

يتحدث — أول ما يتحدث — عن السيد محمد سعيد الحبوبى

النجفي الشاعر الشهير وصاحب الموشحات الكثير فيقارن بينه وبين الشريف الرضي وتسلم له مقارنته في كثير من المواطن ، في الشعر والعلم ، وفي الحياة والجهاد، وفي مواطن الترفع عن التكسب بالشعر ، ويغفل المقارنة بينهما في النسب، فكلا الشاعرين علويان يتصل نسبهما بالإمام علي ؟ وقد ترتب على هذا الإغفال مادمنا في صدد المقارنة اغفال ناحية أخرى وهي نصب الشريف الرضي الطوبته ودفاعه عنها واعتزازه بها وتحمسه لمآثر أجداده أما الحبوبي فإنه قليل المحاولة في ذلك ، فما هو السبب ولماذا ؟ هذا ما كنا ننتظره من الدكتور .

ويتردد الدكتور في رأيه بين الجهر والتكتم عند ما يتحدث من غزل الحبوبي ، فهو لا يستطيع أن يحكم بأن الحبوبي قد اكتوى بنار الحب وأنه استمتع من شبابه بما يستمتع به كل شاب مترف لأن سمته الحبوبي الفقيه تأبى ذلك . ثم يقول : « أننا نظلم الحبوبي ظلما فاحشا إذا افترضنا أن قلبه لم يكن من القلوب التي يدخلها الحب » ! فالدكتور البصير لا يريد أن يظلم الحبوبي فيقول عنه إنه أحب ولا يريد أن يظلمه فيقول : إنه لم يحب لأنه في الأولى يتنافى مع علمه وفقهه وفي الثانية يتنافى مع غزله الرقيق !! هـذا هو موطن الغرابة في رأي الدكتور ، ولقد كان بإمكانه أن يعلن عن رأيه بوضوح ولا يتحفظ مادام يتنقل من ديوان الحبوبي بين شروائع التصوير والصور، ولا أحسب ذلك عسيراً على الدكتور وهو يعتمد في دراسته على الشعر أكثر من غيره .

ثم ما المانع من أن يكون الحبوبي قد عشق وأحب ولكن في سياج من العفة والأخلاق ؟ وهل كانت قلوب الفقهاء إلا كقلوب سائر البشر تحس بالجمال وتنفعل به، ولكنها كقلوب بعض البشر أيضاً لا تواكب هذا الجمال ولا تنطلق مع الحب إلى ماوراء العفة ؟ وليس الحبوبي إلا واحداً من هؤلاء يحس بالجمال ويحترمه ويقدسه به ولكن في دائرة محدودة هي النزاهة والعفة .

ثم أليس الشيخ عباس النجفي — وقد تحدث عنه الدكتور فيمن تحدث عنهم — كان فقيها وكان محبا تمرض في حبه لكثير من المتاعب وتحدثت عنه القصص الغرامية كما تتحدث عن أي شاعر عاشق صدق في شعره كما صدق في حبه ؟ فلماذا كان الشيخ عباس شاعراً محبا صادق الحب ؟ ولماذا كان الحبوبي يظلم حين يتهم بالحب ويظلم حين يجرد منه ؟ .

اعتقد أن هذا التشكيك وهذا التحفظ ما كان لهما شأن عند الدكتور لو أنه عني بدراسة البيئة العراقية عناية دقيقة وربط بين هذه البيئة وبين شعر الحبوبي . ولو أنه أعطى البيئة نصيبا من الدراسة لجرد الحبوبي من تهمات الحب في مختلف أدواره، ولننظر إلى شعر الحبوبي :

قال لي : ملك يا بادي الشجن ذلك الصب العراقي الوطن
مولع القلب بتسآل الدمن

است تنك تحي الأربعا ولكم بحت شجى في سفح شاح ؟
قلت : هل تنكرن صبا مولعا ياذوات الأعين الرضى الصحاح

هذا نموذج ذكره الدكتور من غزل الحبوبي واستشف من ذلك أن الشاعر كان عاشقا ولكنه تحفظ بهذا الرأى كما يقول . ولو أنه أنكر على الحبوبي « تسآل الدمن » و « الأربع » و« سفح شاح » والجناس بين « شجى وشاح » و« الأعين الرضى الصحاح » أقول : لو أن الدكتور فعل ذلك لأنكر على الحبوبي هذا الحب وهذه المحاورة . ولنستمع الى الدور الآتي من الموشح :

ثم قلنا شـــدنها بالقسم وتلطفن بطيب الكلم
قلن لي : الموعد في ذي سلم

فانتظر حارسها أن يهجعا ووشاة الحلي أن تأوى المراح
وهزيع الليل أن يهزعا ويهيج الروض أنفاس الرياح

فأين الحبوبي من ذي ســـلم ووشاة الحلي والمراح وهو يعيش في مدينة النجف ؟ كل ذلك تقليد للصور الشعرية التي نجدها في محاورات ابن أبي ربيعة ،ولكنه تقليد واضح الشخصية متين الأداء . أما الانفعالات التي يثيرها الحب في نفس الشاعر المحب وتنعكس في تعبيره فإننا لا نكاد نلمحها في ثنايا هذه الأبيات على أن السيد الحبوبي — رحمه الله — قد هدم كل رأي يقال فيه عن الحب في موشحة أخرى وصرح بأن هـذا الغزل كله كان غزلا ماديا لا ينعكس فيه أية صورة من صور الحب الصحيح :

لا تخل ويك ومن يسمع يخل أنني بالراح مشغوف الفؤاد
أو بمهضوم الحشا ساهى المقل أخجلت قامته السمر الصعاد

أو بريات خدور وكال   يتقين بقرب وبعـــاد
إن لي من شرف بردا ضفا   هو من دون الهوى سرج لي
غير أني رمت نهج الظارفا   عفة النفس ورفق الألسن

ولا داعى لأن يقول الدكتور إن هذه الأبيات قد زادت (المسألة تعقيداً) بعد الذى أشرنا إليه .

حقا أننا نجد الحب فى أعنف صوره عند الشيخ عباس النجفى لأنه كان شاعراً صادق التعبير ، وفى حدود ذلك الحب لم يتجاوزه إلى ذى سلم وسفح ضاح، بل وقف عنده يؤديه أحسن أداء ويصوره أحسن تصوير وهذه قصيدته الشهيرة خير دليل على حبه الصادق العنيف :

عديني وامطلي وعدى عديني   ودينى بالصبابة فهى دينى
ومنى قبـل بينك بالأمانى   فإن منيتى فى أن تبينى
سلى شهب الكواكب عن سهادى   وعن عدّ الكواكب فاسأليني
أما وهوى ملكت به فؤادى   وليس وراء ذلك من يمين
لأنت أعز من نفسى عليها   ولست أرى لنفسى من قرين
أما لنواكم أمد فيقضى   إذا لم تقض عندكم ديونى ؟
هبونى أن لى ذنبـا - ومالى   سوى كلفى بكم ذنب - هبونى
ألست بكم أكابد كل هول   وأحمل فى هواكم كل هون
إذا ما الليل جن بكيت شجوا   وطارحت الحمام فى الغصون
ولو أبقت لى الزفرات صوتا   لأسكت السواجع بالحنين
بنفسى من وفيت لها وخانت   وأين أخو الوفاء من الخئون ؟

وهى قصيدة أكثر مما ذكرناه منها وقد أشار إليها الدكتور بقوله : لا أغالى إذا قلت إنى لا أعرف لجميل بن معمر شيخ المحبين قصيدة أحفل منها بالعواطف الصادقة وأغنى بالأحاسيس والمشاعر الرقيقة إذا فالدكتور قد استجاب لهذه القصيدة واتصل بعواطف الشاعر ورافقه لحظة من الزمن أدرك خلالها أنه محب صادق الحب . فهل استجاب لغزل الحبوبى حتى استجاب لعواطفه ولكنه تحفظ برأيه ؟ نقطة الخلاف بيننا وبين الدكتور هى البيئة وحدها، فالدكتور لم يتعرض لها حتى يصل منها إلى نتيجة ، فلذلك وقع فيما وقع فيه من الاضطراب فى الرأى ؛ إذ الواقع أن غزل الحبوبى لم يكن ليصوريته أدق التصوير . والواقع أن الحبوبى كان موفقا إلى حد بعيد فى الأداء اللفظى وفى التعابير الرقيقة وإن كانت من غير بيئته ، ولكنه لم يكن معبراً عن عواطف وانفعالات تثير القارىء فيستشف منها ظلالا تختفى وراء هذا التعبير ، لأن الشاعر لم يكن عاشقا يوم من الأيام ، لا لأنه كان عالما فقيهاً، وإنما لأنه لم يحب ولكنه ، وإلا لصور حبه تصويراً لا يخرج به عن حدود البيئة ، لتحدث عن احساسه الصادق قبل أن يكثر من الغزل المادى .

على أن الدكتور حين يستعرض الغزل عند السيد حيدر الحلى يقول عنه : ليس هناك أدنى شك فى أن السيد حيدر لم يقع فى شرك الحب ولم يخضع لسلطان الغرام فى يوم من الأيام إذا كان ما نعرفه من أخلاقه وأحواله صحيحا . وهنا نضع أكثر من علامة استفهام لنسأل الدكتور عن الفرق تفاوت الشاعرين وكون الحبوبى يظلم حين يجرد من الحب، وإن الحلى لم يقع فى شرك الحب ؟

ثم ماهو المانع من أن يجتمع الحب النزيه مع الأخلاق الكريمة إذا كانت الأخلاق مقياس الحب ؟

وهذه أبيات للسيد حيدر نرويها كما رواها الدكتور :

سارة تها النظار المريب بمقلة   لم تقض من لحظاتها آرابها
ولقد دعوت وما دعوت مجيبة   ودعت بقلبي للهوى فأجابها
أعقيلة الحيين شئت فنول   كيدا هواك فكابدت أوصابها
مادمية المحراب أنت بل التى   تنسين نساك الورى محرابها

أن هذه الأبيات خالية من الأحاسيس والعواطف فى نظر الدكتور مع أن الشاعر لم يزخرف فيها ولم يتصنع .أما الغزل عند الحبوبى فإن من الظلم أن يجرده من العواطف !!

البقية فى العدد القادم   ابراهيم الوائلى

أحمد حسن الزيات

يقدم

دفاع عن البـــــلاغة

كتاب يعرض قضية البلاغة العربيـــة أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والبلاغة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ .

من فصوله للمبتكرة القول ، والأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعمائه وأتباعه ، وحماة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والإقامة فى الفنادق

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور مرة أخرى أنه بموجب اتفاق مع شركة فنادق الوجه القبلي والفنادق الأخرى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية ابتداء من أول أكتوبر سنة ١٩٤٩ لغاية ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم للدرجة الأولى فقط والإقامة فى الفنادق .

وتشمل هذه التذاكر الإقامة فى الفنادق المبينة بعد :

إسم الفندق	درجة الفندق	الأجرة عن ٥ أيام و ٤ ليال من القاهرة ملیم	جنيه
فندق ونتر بالاس بالأقصر	درجة أولى ممتازة	٩٣٠	١٦
فندق كاتاركت بأسوان	« « «	١٢٠	١٩
الأقصر بالأقصر	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٠٨٠	١٥
	« « « « الثانية	٣٢٥	٩
فندق جراند أوتيل بأسوان	درجة أولى والسفر بالدرجة الأولى	٢٧٠	١٧
	« « « « الثانية	٠٩٠	١٠
فندق سافوى بالأقصر	درجة ثانية ممتازة والسفر بالدرجة الأولى	٢٠٠	١٤
	« « « « « الثانية	٤٤٥	٨
فندق العائلات بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥	٦
فندق المحطة بالأقصر	درجة ثانية والسفر بالدرجة الأولى	١١٠	١٢
	« « « « الثانية	٣٥٥	٦

مطبعة الرسالة